الفصل الثالث

الطبيعة الإنسانية والتربية في الفلسفة الواقعية المعاصرة

obeikandl.com

الفصل الثالث

الطبيعة الإنسانية فى الفلسفة الواقعية المعاصرة وإنعكاساتها التربوية

مقدمة

إن طبيعة الإنسان وماهيته وجوهره قد أخذت حيزاً كبيراً من البحث والدراسة لدى الفلاسفة عبر القرونالمتتالية للكشف عن أسرارها وخباياها . وتعتبر مشكلة الطبيعة الإنسانية من المشكلات الفلسفية الهامة التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم . وهى مركز اهتمام الفيلسوف كما أنها الشغل الشاغل للمربى فمن الصعب أن نعطى تعريفاً ملائما ًللتربية دون أن يكون لدينا تصور للطبيعة الإنسانية . ومن الطبيعي أن يختلف تعريف التربية باختلاف النظر للطبيعة الإنسانية إذ أن التربية في حقيقتها تنمية وتهذيب الموجود الإنساني من الناحية العقلية والجسمية والروحية والإجتماعية .[1]

لقد نظر الفلاسفة وعلماء الأخلاق والمربون إلى هذه الطبيعة الإنسانية من زوايا متعددة فمنهم من رأى أنها – أي الطبيعة الإنسانية – واحدة وثابتة في جميع العصور والأزمنة،وأن الإنسان هو الإنسان بطبيعته التي لا يطرأ عليها تغير ولا تجديد وعلى ذلك فإن النظام التعليمى الواحد يصلح لكل إنسان فى كل عصر ومكان، ما دام الإنسان هو الإنسان واحد • وهناك من رأى الطبيعة الإنسانية تختلف باختلاف الأفراد من مجتمع إلى مجتمع ومن عصر إلى عصر بل داخل المجتمع الواحد والعصر الواحد ،فهي متغيرة وبالتالي النظام التعليمي يجب أن يختلف من فترة زمنية إلى فترة أخرى .وهناك من ينظر إلى الطبيعة البشرية على أنها شريرة،وهى نظرة تشاؤمية ترى الإنسان شريراً بطبيعته.ويتصف بالجهل

---

(1) Redden john and Ryan Francis " ،A-Catholic philosophy of Education"
Milwaclkee Bruce،1942 . p . 23

والفوضى والكذب والإنانية والهمجية ، وبالتالي التربية هنا غـــزو لميدان الشر والتغلب عليه» .

ومنهم من رأى أن الإنسان خير بطبيعته،أو كمـــا يـــرى"روســـو" "أن الإنسان خير بفطرته ، ولا يتحول إلى الشر إلا نتيجة للظلم والضغـــوط الـــتي يفرضها عـــليه المجتمع[1]".

لكل فلسفة تربوية نظرة معينة عن الإنسان هي امتداد لنظرة الفيلســـوف عن الوجود والمعرفة والقيم "فالبحث في الطبيعة الإنسانية هو استمرار للبحث في الوجود بصفة عامة فالمربى وفيلسوف التربية بشكل خاص يجب ألا يكتفيا بمعرفة طبيعة الوجود الذي نعيش فيه ونتعلم فيه أيضاً بل يجب أن يعرفا أيضاً الصفـــات الخاصة بذلك الإنسان الذي يتعلم[2] .

ينظر الفيلسوف الواقعي للإنسان على أنه أحد أفراد النوع الحيواني ، وهو لا يستطيع الخلاص أبداً من هذا الأصل على الرغم من امتلاكه العقل والوعـــي ، فعالم الطبيعة شامل لكل ما فيه والإنسان جزء من هذا العالم ، شأنه في ذلـــــك شأن أي نوع آخر ... صحيح أن لكل نوع قدرات وخصائص فريدة ، غـــير أن امتلاك هذه الخصائص لا يفصل هذا النوع بأية حالة عن بقية النظام الطبيعي[3]. الإنسان جزء من الطبيعة التي أهم سماتها الاستقلال والتغير وأهم ما في الإنســـان أنه كيان عضوي بيولوجي ذو جهاز عصبي راق وميول اجتماعية متأصلة .

(1) Raymont . " A history of Education" London, long man, p. 22

(2)Brubacher " Modern Philosophies of Education" London, Mcgraw, p. 42

(٣) هنترميد"الفلسفة أنواعها ومشكلاتها"ترجمة فؤاد زكريا ، القاهرة.مكتبة مصر ، ص٨٤ .

obeikandl.com

وقد تحول الاهتمام في التربية من التركيز على العقل والمادة الدراسية إلى الاهتمام بالجسم وتدريب الحواس التي تمكن الطفل من حسن التفاعل مع البيئة واكتشاف ما فيها .

وللفلسفة الواقعية مبادئ وأسس هامة حول الطبيعة البشرية من أهمها : وحدة الطبيعة البشرية وتكامل مكوناتها وتفاعل بعضها البعض ، فالإنسان جسم وروح وعقل لا ينفصل أحدها عن الآخر ، ولذلك فإن الإنسان وحدة واحدة لا تتجزأ ، وإذا كان الفيلسوف المثالي يذهب إلى ثنائية الطبيعة البشرية،فإن الفيلسوف الواقعي يرى أنها وحدة واحدة ، فلا يوجد عقل أوروح منفصل عن الجسم ولكن الروح والجسم يتكاملان ليكونا وحدة واحدة هي الإنسان،وفى ضوء هذا التصور لقوى الإنسان اتخذ الجسم أهمية خاصة عند الواقعيين المعاصرين ، و لم يعد ينظر الفيلسوف الواقعي إلى الجسم نظرة احتقار وازدراء بل إن الجسم كالعقل قابل للتربية،ولذلك اهتم الواقعيون بالجسم وتربيته والحواس وتدريبها حتى يتمكن الطفل من التفاعل مع البيئة التي يعيش فيها .

ويؤكد الواقعيون بصفة عامة على أن الإنسان كيان عضوي بيولوجي ويلزم ذلك العناية بذلك الجسم وتربيته من خلال تكوين عادات صحية نافعة بهدف تنشئة الجسم نشأة صحية تجعله قادراً على المرونة والتطور لمواجهة مطالب الحياة العصرية المتغيرة . ويستهدف هذا الفصل دراسة الطبيعة الإنسانية من خلال المحاور الآتية :

أولاً:الطبيعة الإنسانية بين الخير والشر .

يختلف الفلاسفة حول طبيعة الإنسان ،فمنهم من نظر إلى الإنسان نظرة تشاؤمية ، فرأى الإنسان شريراً بطبيعته يتصف بالجهل والفوضى والكذب والأنانية والغش،فهو ليس حيواناً مدنياً بل هو همجي متوحش ينفر من النظم والقوانين ويجري وراء مصلحته حيثما توجد، ومن الفلاسفة من نظر إلى الطبيعة

الإنسانية نظرة تفاؤلية فرأى الإنسان خير بطبيعتـــه، ويـــتزعم هـــذه النظريـــة الفيلسوف الفرنسي"روسو"في نظريته عن الخير الفطري عند الإنسان. "حيـــث يرى روسو أن الإنسان خير بفطرته،ولا يتحول إلى الشـــر إلا نتيجـــة للظلـــم والضغوط التي يفرضها عليه المجتمع[١]"،وهذا الخلاف حول الطبيعة الإنسانية قديم قدم الفلسفة فهل الطبيعة الإنسانية خيرة أم شريرة ؟والجواب عن هذا الســـؤال مهم لكل من المعلم والمربي ورجل الدين أيضا[٢]. فإذا كانت الطبيعة الإنســـانية خيرة في أصلها وأساسها فإن هدف التربية تنمية ميول هذه الطبيعة الإنســـانية الخيرة."فالنتيجة التي ترتبت على ذلك هي أن على المعلم أن ينظـــر إلي الميـــول الطبيعية لدى الطفل على أنها خير في أساسها،ويكون عليه كذلـــك أن يجعـــل أهداف التربية إنعكاساً لهذه الميول،وأن ينتقى المنهج بحيث يكون وسيلة لإطلاقها وتنميتها ثم يكون على المعلم أن يمنح حرية الطفل الاعتبار المناسب في طرقه الـــتي يستعملها في تعلم ذلك الطفل خوفاً من حدوث مضاعفات تؤذى ذلك الخـــير الكامن في طبيعته"[٣] ،وبذلك تصبح وظيفة التربية هنا الاعتراف بهـــذا الخير وتشجيعه ،والقاعدة الأساسية هي قبول الفرد بطبيعته وتنمية ميوله.وأن الإنســـان إذا ما أتيحت له الظروف والخبرة فإنه ينجح ويحقق ذاته،وهنا تعمل التربية علـــى تهيئة الظروف المناسبة لنمو الأفراد.

وأما من ينظر إلى الإنسان على أنه في أساسه شرير فإن هدف التربيـــة أن يكبت الدوافع الطبيعية الشريرة،وأن يحل محلها دوافع مقبولة "إذن يصبح هـــدف

---

1. T.Raymont "A history Of Education " London , Longmans , Green And Co. P. 22.

2. Brubacher " Modern Philosophies Of . Education p.66 .

3. Ibid ,p. 66 .

التربية أن تقدم للأفراد وسائل تغطية هذا الشر الداخلي بمظهر خير"[١]، بل أفضل ما تفعله التربية أن تسيطر على القوى الطبيعية الشريرة في الإنسان بالإضافة إلى تعليم الطفل حب الأشياء الجميلة التي يجب أن يحبها،وأن المعلم يستغل هذه الميول الطبيعية من أجل تحقيق مهمة التربية.[٢]

الاتجاه الأول : يرى أن الإنسان شرير بطبيعته ويمثل هذا الاتجاه . المفكرون "توماس هويز" و"شوبنهور" والقائلون بالخطيئة الأولى من المسيحيين والمفكر العربي "أبو العلاء المعري" و"كروتشه".

١- يرى "هوبز" أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان ،وأن الكل في حرب ضد الكل وقد اعتنق "هوبز" النزعة المادية ،وفسر العالم وأحداثه بالمادة واستبعد الروح ولواحقها،والإنسان في مذهبه " أنانيُ بفطرته ينفر بطبيعته من الاجتماع بغيره من الناس أو كما قال "هوبز": إذا هم برحلة سلح نفسه ، وإذا أسلم عينيه للنوم أغلق أبوابه وحتى إذا استقر في بيته أقفل دواليبه، وهكذا بدا الإنسان عنده ذئباً لأخيه الإنسان لا يتردد القوي في الاعتداء إلى الضعيف"[٣]

٢- "شوبنهور" فيلسوف ألماني يرى أن المجتمع قائم على الخديعة والزيف، وكل إنسان يتخذ له قناعاً خاصاً يستر به حقيقته،ويواري به ما بنفسه من شرور وأحقاد، فالبعض يتخذ قناع الدين والبعض يلبس قناع الوطنية أو التظاهر بالفضيلة، وبين جنبي كل إنسان تقيم أنانية ضخمة غلابة تجتاح حدود الحق وتكتسح أسوار العدل في حرية تامة وفي غير تردد، ونشاهد ذلك بصورة مصغرة

---

(١) فينكس." فلسفة التربية ." ترجمة محمد لبيب النجيحي ، القاهرة ، النهضة العربية ، ١٩٦٥ ،ص ٨٦١ .

(2) Brubacher " Modern Philosophies Of Education",p.660

(٣) يوسف كرم," تاريخ الفلسفة الحديثة ."ص ٢٩٥.

في حياتنا اليومية ونراه بصورة مكبرة بكل صفحة من صفحات التاريخ، ويشد أزر هذه الأنانية الكامنة في كل نفس نبع من الكراهية والحقد والضغينة والخبث فياض الموارد طاغي العباب، وفي قلب كل إنسان يرقد حيوان متوحش شديد الضراوة ينتظر فريسته ليزلزل زلزاله ويثير زوابعه"[١] . ويقول شوبنهور:"الحياة شر وكل ما نصادفه من خير فهو زائف"[٢].

٣- إن الاتجاه المسيحي التقليدي ينظر إلى الطبيعة الإنسانية نظرة يغلب عليها أن تكون قاتمة، ويتمسك بالمذهب القائل بالخطيئة الأولى، وخلاصة هذا الاتجاه أن الله وضع في آدم حين خلقه طبيعة إنسانية جوهرها الأصلي علوي إلى حد كبير وحين ارتكب آدم زلته وعصى الله في الجنة عاقبه الله بحرمانه من خيرات تلك الطبيعة العلوية[٣] ، وبذلك يكون أبناء آدم قد ورثوا الخطيئة الأولى عن أبيهم كما يرى أصحاب هذا الاتجاه المسيحي التقليدي.

٤-"كروتشه"فيلسوف إيطالي يصور الحياة على أنها كفاح مستمر ضد الشروووصول إلى الخير فهو يرى أن الشر هو المحرك الدائم للحياة الروحية، وما الحياة الروحية في نظره إلا كفاح ضد الشر، وصوّر العالم على أنه خبث وشر وخطيئة، وأن هذا الشر هو المحرك الدائم للحياة، وكأن الشر بمثابة حافز يدفعنا إلى العمل والنضال المستمر من أجل إبداع الخير وتحقيق القيم[٤].

٥-"كلفن"Calvin يرى أن الطبيعة الإنسانية لم تحرم من النعم الخاصة بالطبيعة العلوية فقط بل هي قد أصيبت فوق ذلك بسوءٍ نتيجة لإخراج آدم من جنات عدن. إن المذهب المدرسي يرى أن الطبيعة الإنسانية التي سقطت مرة تستطيع أن

---

(١) علي أدهم." بين الفلسفة والأدب "،القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٨ ص٢١ .

(١)يوسف كرم."تاريخ الفلسفة الحديثة" ، مرجع سابق ، ص٢٩٥.

(3) Brubacher " Modren Philosophies Of Education . P .67

(١) عبد الرحمن بدوي " كروتشي فيلسوف الجمال ". ص٥٣.

obeikandl.com

تنهض من جديد أي أن باستطاعتها أن تتعلم وتصل إلى الخلاص . أما "كلفن" فيرى أن الطبيعة الإنسانية قد سقطت إلى منحدر سحيق وعميق لدرجة لا تستطيع الخلاص منه بغير المعونة الإلهية، ثم أنها فوق ذلك إما أن تكون قد قدر عليها الإثم أو كتب لها الخلاص[١]

٦-"أبو العلاء المعري" المفكر العربي الذي أساء الظن بالطبيعة الإنسانية، شديد الإزدراء لها، بارع في الكشف عن عيوبها، فيصورها على أنها تتميز بالسوء والشر، ويصور الإنسان على أنه أناني بطبعه، خبث حاقد، يا يصور الانسان على أنه ذئب لأخيه الإنسان [٢]، فيقول :

" وجدت الناس في جبل وسهل ... كأنهم الذئاب أو السباع " ، وهو نفس التصور الذي أخذ به من بعده الفيلسوف الإنجليزي "توماس هوبز" ويعلل "أبو العلاء المعري" لؤم الإنسان وخسته وحقارته بفساد الأصل والتواء الغريزة فيقول :

تفرع الناس عن أصل به درن ... فالعالمون إذا ميزتهم شرع .

وفي موضع آخر يظهر سوء الإنسان وفساده بصفة عامة، وكأنه يقول أن الإنسان شرير بطبيعته وفاسد في أساسه فيقول :

وكلنا قوم سوء لا أخص به ... بعض الأنام ولكن أجمع الفرقا [٣]

وإذا كان الإنسان أنانياً وشريراً بطبيعته، ويتصف بالرياء والنفاق والفوضى والظلم والكذب ... فلابد من تهذيب أخلاقه وتقويم طباعه، وتعديل سلوكه الهمجي إلى سلوك أرقى وأفضل .

وهذا الاتجاه الذي يصور الإنسان على أنه حزمة من الدوافع الآثمة والشريرة، والتي تحاول التعبير عن نفسها، فإن مهمة التربية أن تكبح هذه الدوافع

---

(1) Brubacher "Modern philosophies . P . 68

(٢) علي أدهم "بين الفلسفة والأدب" ، مرجع سابق، ص ٢١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢١ .

بقوة، وإلا دمرت الإنسان والمجتمع، ولن تكبح هذه الدوافع إلا بممارسة قـــوة ضاغطة وسيطرةوضـَبط لهذه الدوافع ، سواء كانت هذه القـــوة داخليـــة أو خارجية ، وأن هناك قواعد للضبط والنظام لا يحق للطلبـــة الخـــروج عليـــها، والطريقة المناسبة للتعامل مع الشباب حبسهم في نظام صارم لا يعرف الرحمة ولا الهوادة، وأن يحدد لهم ما ينبغي عمله من برامج تربوية لإصلاح هـــذا الإنســـان الشرير بطبعه، وغالباً ما يقرر هذا الاتجاه وجوب العقاب الصارم لكل من يخـــرج عن النظام والقوانين، وكما أنه يقرر استخدام القهر وكبت حرية المتعلم، وهـــذا ما لا يرضى عنه الفيلسوف الواقعي المعاصر الذي يتغنى بالحرية لكل من المعلـــم والمتعلم، وفي ذلك يقول"راسل"ولكني أدافع عن أوضاع معينة من الحرية والـــتي سيجدها معظم الناس غير موجودة"[١].

الاتجاه الثاني: يمثل هذا الاتجاه"كل من "روسو" و"برنشفك" و"تاريو" و "وابن طفيل ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الطبيعة الإنسانية خيرة فى أصلها وأساسها.

١ــ ويتزعم هذا الاتجاه الفيلسوف الفرنسي"جان جاك روسو"الذي يـــرى أن "الطبيعة الإنسانية خيرة في الأصل منذ جاءت من بين صانعها "[٢] ،وإذا كانت النفس الإنسانية خيرة كما يرى"روسو"في نظريته عن الخير الفطري الكامن فيـــها فإن "الإنسان لا يتحول إلى الشر إلا نتيجة للظلم والضغوط التي يفرضها عليـــه المجتمع"[٣]، وقد كان"روسو"يدعو إلى العودة إلى الطبيعة،ذلك لأنه كان يزعم أن الاجتماع مفسدة، وأن العلوم والآداب والفنون كلما تقدمت أمضـــت في إفساد الإنسان، ويستشهد بمصر القديمة وأثينا وبيزنطة، والصـــين إذ مـــالت إلى الانحطاط وغاصت في الرذيلة حالما ساد فيها حب العلوم والفنـــون . ،ويـــرى

---

(1) Russal " Education And Order Social" P . 59 .

(2) Brubacher "Modren Pholosophies "P . 68 .

(3) T.Raymont " A History Of Education " P 22 .

obeikandl.com

«روسو»أن"هوبز"أخطأ حينما ذهب إلى أن حالة الطبيعة تتميز بالطمع والكبرياء، فإن هاتين العاطفتين لا تنشآن إلا في حال الاجتماع .،فالإنسان المتوحد الذي كان يحيا حياة طبيعية كان كاملاً سعيداً،لأن حاجاته قليلة وإرضاءها سريع، ولأنه كان حراً مستقلاً، فكان كل إنسان مساوياً لكل إنسان . ولكن الإنسان إنتقل من حالته الطبيعية إلى مرحلة الاجتماع مع الآخرين، وهكذا تحول الإنسان الطيب بالطبع إلى شرير بالإجتماع، وبما أن الإجتماع قد أضحى ضرورياً،ومن العبث محاولة فضه والعودة إلى حالة الطبيعة ،فكل ما نستطيع صنعه هو أن نصلح مفاسده بأن نقيم الحكومة الصالحة،وأن نهئ لها بتربية المواطنين الصالحين [1] . وإذا كان الإنسان بفطرته خيراً فالتربية، هنا الرجوع إلى الطبيعة فيترك الطفل يربي نفسه بنفسه، وبذلك ينشأ حراً جديراً بأن يكون عضواً في دولةٍ حرة وما من وسيلة لتربية الطفل لأجل الحرية إلا تربيته بالحرية، وهذا يعنى أن التربية تقتصر على معاونة الطفل في تربية نفسه بنفسه ويجتنب كل ما يضيق عليه ويقيده على أن المربي لا يقف متفرجاً فإذارأى الطفل يعرض حياته للخطر بلغه بتجربته بل ينبهه وينهاه بقوة ويكون تحصيل المعاني النافعة عن طريق الاتصال بمواقف الحياة اتصالاً شخصياً[2] " فالإنسان عند"روسو"طيب وخير بطبيعته،ولكن ما يفسده هو المجتمع ويمكن اصلاحه بالتربية وإذا كان الإنسان خير بطبيعته فإن التربية هي تنمية لقواه الطبيعية وقوام التربية العودة للطبيعة .

٢ــ"برنشفك"فيلسوف فرنسي معاصر يرى أن الطبيعة الإنسانية خيرة، ولكن من الخطأ أن نستنتج من ذلك كما فعل"روسو"، فساد الجنس البشري أو الحضارة الإنسانية بل كل ما هنالك أننا لم نستطيع بعد أن نحقق في أنفسنا القدر

---

(١) يوسف كرم ."تاريخ الفلسفة الحديثة"،ص٢٠٣ .

(٢) محمد مصطفى زيدان."مفهوم الحرية في التربية الحديثة " ، القاهرة ، النهضة المصرية ص٧٣ .

الكافي من المدنية أو الحضارة .[1] و"برنشفك" هنا يعارض "روسو" حينما ذهب "روسو" إلى فساد المجتمع بما فيه من حضارة تشمل العلوم والفنون والآداب على العكس يرى "برنشفك" أن العلوم والآداب والفنون هي التي تهذب الإنسان . "والحق أنه لا سبيل إلى تحقيق الوعي الخلقي،والوعي الديني أللهم إلا إذا تسنى لنا أن نحرر الإنسان من آرائه المبتسرة الحافلة بالأنانية وتقاليده الزائفة القائمة على الإيمان الحرفي .[2]"

فالعلوم عند "برنشفك" تغرس روح النزاهة في المتعلم، كما أن من شأن الفن أن يبث في الإنسان روح التعاطف والمشاركة ،وكذلك العلم يعمل على التسامي بنا نحو مستوى الوحدة البشرية الشاملة.ولكن روسو يذهب إلى أن العلوم والفنون والآداب والحضارة عامة تكمل ظاهر الإنسان فقط ولا تكمل باطنه، بل إنها كلما تقدمت أمضت في إفساده .

٣ـ "**تاريو**" Thareau اعتقد أن الإنسان يولد خير بفطرته، ولكنه يتساءل ما الذي يفسده ؟ ويجيب بأن العالم الذي يعيش فيه هو الذي يجعله شريراً وفاسداً ، يقتل ويخرب في الأرض، ولذلك يرى "تاريو" أن الإنسان خير أساساً ويصبح شريراً نتيجة للقوى التي يمارسها عليه العالم "[3]. وقد صار "تاريو" على نفس طريقة "روسو" في اعتبار أن الإنسان بفطرته خير، ولكن الاجتماع هو الذي يفسده نظراً لأن العالم يمارس عليه قوى الظلم فيتحول الإنسان عن فطرته الخيرة إلى طبيعة أخرى شريرة لا تعرف الرحمة ولا المودة ، فيرتكب أكبر الجرائم في حق نفسه ومجتمعه أيضاً .

٤ـ "ابن الطفيل" والطبيعة الخيرة .

---

(١) زكريا إبراهيم " الفلسفة المعاصرة "، مرجع سابق،ص ٩٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٣) أرثر كومز " خرافات في التربية "، مرجع سابق،ص ٦١ .

obeikandi.com

إبن طفيل فيلسوف عربي مسلم ، اعتقد أن الإنسان طبيعتة خيرة، وقد ترك لنا قصة "حي بن يقظان " صور فيها آراءه عن الإنسان والمجتمع والحياة ، وذهب إلى أن الإنسان خير بفطرته ،وصور ذلك في قصة حي بين يقظان حيث رأى أن حي طفل صغير تربى في جزيرة بعيداً عن الناس لأن أمه وضعته في تابوت ونقله الماء إلى ساحل البحر ،وظبية سمعت صوت هذا الطفل فأخذته إلى داخل الجزيرة التي عاش فيها حي مع الظبية التي حملته وغذته وربته ودافعت عنه ويقول"ابن طفيل": ولم يكن بهذه الجزيرة شيء من السباع العادية ، فتربى الطفل وتغذى بلبن تلك الظبية ،وكانت هي ترفق به وترحمه وتحمله إلى مواضع فيها شجر وثمر، فكانت تطعمه ،وكان هو يحاكي جميع ما يسمعه من أصوات الطير وأنواع سائر الحيوانات محاكاة شديدة لقوة انفعاله لما يراه[1] . ولما بلغ حي من عمره العام السابع بدأ يتعلم من الطبيعة كيف يقلد الحيوانات في أصواتها وحركاتها، ولكنه وجد " أن مخارج الفضول من سائر الحيوانات مستورة بالأذناب، فقد اتخذ من ورق الأشجار العريضة شيئاً جعل بعضه خلفه وبعضه أمامه " وحينما شاهد النار تعجب منها " وما زال يدنو منها شيئاً فشيئاً فرأى ما للنار من الضوء الثاقب والفعل الغالب ... وأراد أن يأخذ منها شيئاً فكلما باشرها أحرقت يده " ثم تعلم من النار أنها تحرق جسمه وأنها تضيء له في الليل، فهي تقوم مقام الشمس في الليل "، وهكذا أصبحت الطبيعة المعلم الأكبر للإنسان ، فتعلم منها، وكلما مر بخبرة مباشرة استفاد منها في حياته حتى نضج وخرج من الجزيرة إلى الناس فوجد أن الفساد في المجتمع، فعاد إلى جزيرته مرة ثانية.والمبدأ لأول عند "ابن طفيل"أن طبيعة الإنسان خيرة، والمبدأ الثاني:أن الفساد لا يأتي إلا بالإجتماع مع الآخرين، والمبدأ الثالث:العودة إلى الطبيعة، وهذه المبادئ الثلاثة هي التي نادى بها الفيلسوف الفرنسي"جان جاك روسو"، فالإنسان عند كل من"ابن

---

(١) عبد الحليم محمود:"فلسفة ابن طفيل "،القاهرة .، مطبعة الدار المصرية، ١٩٧٨،ص ١١٠.

الطفيل"و"روسو"طيب وخير بطبيعته، ولكن ما يفسده هو المجتمع، وأن صلاح الإنسان لا يكون إلا بالتربية التي تعتمد على تنمية قواه الطبيعية الطيبة، والعودة إلى الطبيعة ، فيترك الطفل يربي نفسه بنفسه، وبذلك ينشأ حراً جديراً بأن يكون عضواً في دولةٍ حرة، وهكذا يتضح أن "روسو" و"ابن الطفيل" وغيرهما كانوا متفائلين بشأن الطبيعة الإنسانية، فقد نظروا إلى الإنسان على أنه خير ،ووظيفة التربية هنا الاعتراف بهذا الخير وتشجيعه ،والقاعدة الأساسية في التربية هي قبول طبيعته وتنمية ميوله، وأن الإنسان إذا ما أتيحت له الظروف والخبرة فإنه ينجح ويحقق ذاته، وهنا تعمل التربية على تهيئة الظروف الملائمة لنمو الأفراد، وعلى واضعي المناهج أن يراعوا هذه الطبيعة الخيرة، بأن يعتنوا بوضع مناهج تعمل على تنمية ميول الطفل الطبيعية لأنها ميول خيرة في أصلها وأساسها، وتعمل هذه المناهج على تنمية وتشجيع هذه الميول الخيرة ، ثم أنه على المعلم والإدارة والعاملين في حقل التربية والتعليم أن يمنحوا الطفل أكبر قدر من الحرية والاحترام لينمو الطفل في بيئته فرداً حراً يحترم ذاته وشخصيته ويحترم الآخرين، ولذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه ينبغي أن يشارك المتعلم في اختيار المناهج التي تعمل على تنمية ذلك الخير الكامن في طبيعته، على عكس ما كان في الاتجاه الأول الذي يرى أن الإنسان شرير في أساسه، وبالتالي انعكس ذلك على الجانب التربوي للإنسان، حيث أصبحت هذه التربية كبتاً لهذه الدوافع الطبيعية الشريرة، وأن يحل محلها دوافع مقبولة، وأفضل ما تفعله التربية أن تسيطر على هذه القوة الطبيعية الشريرة في الإنسان .

الاتجاه الثالث: تمثله الواقعية المعاصرة التي ترى أن الطبيعة الإنسانية ليست شريرة بالفطرة، كما ذهب هوبز وغيره من الفلاسفة، كما أنها ليست خيرة بفطرتها، كما ذهب إلى ذلك "روسو" وأتباعه، ولكن الطبيعة الإنسانية إنما هي استعداد يمكن أن يصبح خيراً أو شراً، وهذا الاتجاه الجديد الذي يقر بأن الطبيعة

الإنسانية ليست خيراً في الأصل ولا هي شريرة، إنما لديها استعدادات مهمة ودوافع يمكن تنميتها إما خيراً أو شراً، والمربي هنا يرى في الطبيعة الإنسانية نقاط ضعف ونقاط قوة، وينبغي عليه أن ينمي هذه الميول والاستعدادات والدوافع الخيرة إلى أقصى حد ممكن بما يحقق الخير والسعادة للأفراد والمجتمع، فإذا كان اصحاب الإتجاه الاول قد ذهبوا إلى أن الإنسان شرير، وأن أهداف التربية قمع وكبت لهذه الغرائز، فإن الواقعيين المعاصرين يرفضون هذا الأسلوب في تربية الأطفال، بل إن التربية عند "راسل" عبارة عن توجيه الغرائز وليست قمعها، والغرائز البشرية مهمة جداً ويمكن إرضاؤها بطرقٍ شتى ومعظمها يحتاج إلى مهارة ما، حيث يمكن إشباع هذه الغرائز بتوجيهها نحو الاكتشاف العلمي أو الإبداع الفني أو أي نوعٍ من أنواع الأنشطةٍ المختلفة النافعة، ومن هنا يرفض الفيلسوف الواقعي المعاصر الاعتقاد بأن الإنسان شرير بطبيعته، وكذلك يرفض الواقعي المعاصر القول بأن الإنسان خير بفطرته فهذا ليس صحيحاً، حيث إن إيمان روسو بالفضيلة الفطرية والخيرية الطبيعية لا يتفق مع الواقع، ولكن طبيعة الإنسان أشبه بالمادة الخام ليست لها صفة خلقية، ويمكن تشكيلها إما للخير وإما للشر بتأثير البيئة عليها، وفي مقدور التربية الصحيحة أن تجعل الإنسان شريراً أو خيراً، ولذلك يقول "راسل": "أعطِ الإنسان الأنواع الصالحة من المهارة يصير فاضلاً، وأعطه الأنواع الخاطئة يصبح فاجراً[1]" فالإنسان ليس خيراً في الأصل ولا شريراً كما زعم أصحاب الفلاسفة السابقون إنما الإنسان يولد ولديه استعدادات يمكن أن تصبح شراً أو خيراً حسب التربية التي يتلقاها منذ ميلاده. ولعل أقرب تشبيه للإنسان من هذه الوجهة أنه أشبه "بالمادة الخام" التي يمكن أن تشكل بحسب بيئتها وما تتعوض له من عوامل تؤثر فيها وهكذا الإنسان لا يولد شريراً بفطرته ولا خيراً ولكنه لديه استعدادات ودوافع يمكن بالتربية أن يصير خيراً أو شريراً. و"راسل" يرفض

---

(١) راسل: "في التربية"، ص ٩٩.

القول بأن الإنسان شرير كما هو فى مذهب الخطيئة الأولى سواء كان فى المذهب المسيحى أو ما قاله "كلفن" Calvin حول سوء الإنسان وفساد أصله، وأساسه لأن هذا الإتجاه لا يتفق مع الواقع .

وكذلك يرفض "راسل" مذهب "روسو" لنفس السبب فيقول "راسل": "فلا الاعتقاد القديم في الخطيئة الأصلية ولا إيمان "روسو" بالفضيلة الفطرية بالذي يتفق مع الواقع ولكن يولد الإنسان لديه، غرائز تكون قابلة للتشكيل والتهذيب[1]". ويقول "راسل": وهناك ما يدعو إلى التفاؤل المعتدل في أن معظم غرائز الناس بصرف النظر عن المرضى منهم تكون في أول الأمر قابلة للتشكيل أشكالاً صالحة ،وذلك بفعل التربية الصحيحة والبيئة المناسبة ومن هنا يرى " راسل " أن فى مقدور التربية الصحيحة أن تجعل العيش طبق الغريزة ميسوراً لكنها ستكون عندئذٍ غريزة مدربة ومهذبة ،وليست بنزعتها الفطرية غير المدربة وغير المهذبة التى تمدنا بها الطبيعة ،وما دام الإنسان يولد ولديه غرائز ، فلابد من تهذيب هذه الغرائز باكتساب مهارات ،ولذلك المهذب العظيم للغريزة هو المهارة.ويستخدم " راسل " تشبيه الإنسان "بالمادة الخام"، وعلاقة ذلك بالتربية فيقول :"الواقع أن الأطفال ليسوا أخياراً ولا أشراراً بالفطرة فهم يولدون وليس فيهم إلا بعض الغرائز والاستعدادات ومن هذه الاستعدادات والغرائز تظهر العادات بتأثير البيئة، والعادات إما صحيحة أو سقيمة وأيهما تكون يتوقف على حكمة الأمهات أو المربيات،ذلك لأن طبيعة الطفل في أول الأمر مطاوعة إلى حد لا يكاد يصدق فالغالبية العظمى من الأطفال مادة لتكوين المواطن الصالح أو لتخريج مجرم[2].

ويرى "بيري" أن الإنسان ليس خيراً ولا شريراً بطبيعته ولكنه يولد على الفطرة الطاهرة النقية التي يمكن أن تتجه إلى أي من الاتجاهين حسب البيئة التي يزرع

---

(١) المرجع السابق،ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق،ص ٣٤ .

obeikandl.com

فيها النبات.ويقول"بيزي":"أن الحقيقة المعروفة والتي يقبلها الفكر الحديث أن الأفراد البشريين إذا تركوا لكي ينموا أو شجعوا على النمو حسب استعداداتهم الداخلية فإنه سيثمرون ثمراً سيئاً وثمراً خيراً أيضاً[1]". فالإنسان ليس بطبيعته خيراً ولا شريراً ولكنه لديه استعدادات داخلية يمكن أن تنمى حسب بيئته إما إلى الخير وإما إلى الشر ،ولذلك يرى"بيري"أن الإنسان بفطرته ليس مزوداً للحياة إلا بقدرات واستعدادات تمكنه من تعلم كيف يعيش،وبواسطة التربية يكتسب الناس الثقافة التي تنمي استعداداتهم وقدراتهم.ولا يعتقد"بيري"أن الطبيعة الإنسانية خيرة بفطرتها فيقول :"فإذا كان الإنسان بتكوينه نازعاً نحو الأهداف الخيرة فكل ما هو ضروري إذن هو أن نعد له أرضاً خصبةً ورطوبة وضوء شمس ونترك الباقي للقوى الداخلية للنمو الطبيعي لكن الأمر ليس هكذا لسوء الحظ[2]". فإن الإنسان ليس خيراً بطبيعته وكذلك ليس شريراً،وإنما لديه استعدادات وقدرات يمكن أن تنميه التربية بالخير أو الشر،وكما أن الطبيعة الإنسانية وحدة واحدة فهي أيضاً محايدة لا خيرة ولا شريرة بطبيعتها ولكن لديها إمكانات واستعدادات وقدرات يمكن أن تنمي إلى الخير أو الشر،ويرى"وايتهيد"أن الطبيعة الإنسانية هيولي محليدة أو مادة خام يمكن أن تشكل للخير أو الشر ولكنه يعلم ما في أعماق النفس الإنسانية من شرٍ ومن جنوحٍ للامنطق ،ومع ذلك فقد يبدو أنه متفائل نوعاً ما[3]، فقد كان"وايتهيد"أكثر تفاؤلاً من غيره من الفلاسفة،ومع ذلك كان يرسم تخطيطاً سريعاً للعيوب في السلوك الإنساني تلك العيوب التي أنتجت الفشل الواضح في الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية[4] . لذلك يكون"وايتهيد"قد صار

---

(١) بيري "آفاق القيمة" ص٥٧٧ .

(٢) المرجع السابق،ص٥٥٣-٥٥٧ .

(٣) جونسون " فلسفة وايتهيد في الحضارة " ص١٦٢

(٤) المرجع السابق ، ص١٦٢

على نهج "بيري" و"راسل" في أن الطبيعة الإنسانية محايدة بفطرتها لا تميل إلى الخير ولا إلى الشر بطبيعتها ولكنها تتكون من استعدادات وقدرات يمكن أن تشكلها التربية خيراً أو شراً فإذا كان الانسان بطبيعته ليس شريرا ولا خيرا فإن طبيعته محايدة نحو الخير والشر. ومن هنا تتناول الدراسة في الخطوة القادمة الطبيعة الإنسانية والواحدية المحايدة وانعكاساتها التربوية "راسل" و"بيري" و"وايتهيد"

ثانياً : الطبيعة الإنسانية والواحدية المحايدة وانعكاساتها التربوية

يرى أنصار "الواحدية المحايدة Neutral Monism" أن الوجود لا يمكن أن يفسر بمبدأ مادي خالص أو مبدأ روحي بحت بل أنه يرجع إلى مبدأ واحدي محايد لا هو مادي ولا روحي بل إن المادة والروح يصدران عن مثل ذلك المبدأ الواحدي المحايد، وبما أن الإنسان جزء من هذا العالم فإن الدراسة تعرض للآراء حول هذا العالم، وتحليل العالم من أهم المشكلات التي شغلت الفلاسفة منذ عهد بعيد وقد انقسموا في هذا المبحث أقساماً متعددة ،وكان مدار الفلاسفة حول فكرتين متقابلتين هما فكرة المادة وفكرة العقل أو الروح،وبناء على تقسيم الفلاسفة العالم إلى قسمين: عالم المادة وعالم الروح قسم الفلاسفة الكائن البشري إلى قسمين :الجسم والروح ،وذهب بعضهم إلى أن المادة وحدها هي الحقيقة وهؤلاء هم الماديون وما العقل إلا ضرب من المادة أو صفة من صفاتها،ويتضح هذا الاتجاه عند "ديموقريطس" من الفلاسفة الذريين القدماء،وحديثاً عند "هوبز" و"فيورباخ"،وهناك فئة من الفلاسفة عكس الاتجاه السابق رأوا أن العقل وحده هو الحقيقي وما المادة إلا ضرب من ضروب العقل الكلي المطلق،وقد تطرف بعضهم إلى إنكار وجود المادة.ومن أمثال هؤلاء الفلاسفة "أفلاطون" قديماً و"باركلي" و"هيجل" حديثاً ، وهناك فئة ثالثة يذهب أصحابها إلى الجمع بين العقل والمادة،وهم يفصلون بينهما ولكنهم جمعوا بينهما معاً ،وهؤلاء دعاة مذهب الثنائية الذي يمثله "ديكارت".ولقد جاء "راسل" بفكرته عن الهيولي المحايدة معبراً عن اتجاه رابع لم يقل فيه بالعقل وحده أو بالمادة

وحدها،كما أنه لم يجمع بينهما بل رد الجوهرين العقلي والمادي إلى عنصر واحد لا هو بالعقل ولا هو بالمادة ولا هو بالمركب من الإثنين معاً بل هو عنصر متعادل أو هيولي محايدة لا هي هذا ولا هي ذاك،وإن كانت هي الأصل في هذا أو ذاك إذاً ما حللناهما "[1].

وتعتمد تحليلات "راسل" الفلسفية لكل من المادة والعقل على العلم المعاصر وخاصة النظرية النسبية ، فالمادة تتألف من جسيمات يتكون كل منها من ذرات والذرات تتكون من شحنات كهربية أما أنها سالبة أو موجبة أو متعادلة . فالمادة بعد التحليل أصبحت طاقة . فهذه المنضدة وهذا المقعد هو في الحقيقة مجموعة الموجات الكهربية الموجبة أو السالبة التي تتحرك بسرعة شديدة [2].والوجود أحداث لا أجسام ولذلك فالشيء المادي ليس إلا سلسلة طويلة من الأحداث أو شبكة من خيوط الحوادث .

وبعد تحليلات علمية انتهى " راسل " الى ان العمليات العقلية مثل الإدراك الحسي والذاكرة والإدراك العقلي ما هي إلا حوادث أو احساسات والحادثة هي حادثة طبيعية ونفسية في آن واحد . يرى "راسل" أن الحادثة الواحدة في حقيقتها ليست هي بالحادثة الطبيعية إلا إذا وضعت في سياق معين يتألف من زمرة من الأحداث الطبيعية وليست هي بالحادثة النفسية أو العقلية إلا إذا وضعت مع غيرها في سياق آخر يتألف من زمرة الأحداث العقلية،وتلك هي وجهة النظر التي تسمى بالواحدية المحايدة أي وجهة النظر التي ترد الأحداث كلها لا إلى المادة ولا إلى العقل بل تجعلها أحداث محايدة لا تقرر مصيرها من مادة أو عقل إلا بعد دخولها في نسيج مع غيرها،فالعقل والمادة لا يتميزان بخط فاصل بل إنهما يختلفان في

---

(١) عزمي إسلام " واحدية محايدة بين العقل والمادة "، مجلة الفكر المعاصر،العدد ٣٤المجلد،١٩٦٧ ص ٤١-٤٢ .

(2) B . Russell "An Outline Of Philosophy" London, P . 1 .

الدرجة وحدها لا في النوع [1].ونظرية الواحدية المحايدة لا تتعارض مع مذهب الكثرة pluralism لأن الواحدية المحايدة تنصرف إلى الهيولي أو المادة الأولى التي تكونت منها الأشياء من حيث هي طبيعة واحدة هي الحوادث أو الإحساسات أما التعدد والكثرة فهو المذهب الذي يفسر به العالم .

رفض"راسل"قسمة الإنسان إلى جانبين:الأول عقلي،والثاني جسمي،ورد هذين الجانبين إلى هيولي محايدة يتفرع منها الجانبان معاً وقد رفض"راسل"و"وايتهيد" و"بيري"هذه الثنائية،ولم ينظروا إلى الإنسان على أنه عقل فقط أو جسم فقط بل نظروا إلى الكائن الإنساني نظرة كلية شاملة من حيث تكوينه ووطبيعته وتربيته وتهذيبه،وترتب على ذلك تربية شاملة للموجود الإنساني تطمح إلى تكوين الإنسان كله في شتى جوانبه الجسدية والعقلية والروحية . فنجد أن الواقعية المعاصرة بقدر ما تهتم بتربية العقل تعتني بتربية الجسد،فالتربية الفكرية واليدوية والخلقية لا فصل بينها ،فلم يعد الهدف تكوين الفكر فقط،وإعداد الإنسان العاقل ولكن الإنسان جسد إلى جانب كونه عقلاً ،ولهذا تهتم الواقعية المعاصرة بالصحة والنظافة والتربية البدنية بصفة عامة مثلما تهتم بتربية العقل وتنمية الذكاء وتربية الإرادة.

وتحتل التربية اليدوية في الفلسفة الواقعية مكانة هامة منذ"جون لوك" ولذلك فإن الإنسان لا يكون كاملاً إذا لم يعرف كيف يستخدم يده فمن الأفضل أن يتدرب على عدة مهن تتطلب المهارة اليدوية .

ولذلك لا يعتمد التعليم في الواقعية المعاصرة على شحن عقول التلاميذ بمجموعة من الأفكار المجردة والمعتقدات المرغوب فيها فقط بل إنه من الأفضل كما يقول "راسل":" بالنسبة للغالبية العظمى من الأطفال أن يتلقوا قدراً كبيراً من تعليمهم في هواء الريف الطلق،وأما الأطفال من البنين والبنات الذين ليس لديهم ميول

---

(١) عزمي إسلام " واحدية محايدة " ص٤٦.

ذهنية أو فنية فإن التعليم الفني إذا أخذ بروح أكثر تحرراً يكون أكثر فـــائدة في إثارة نشاطهم الذهني من دراسة الكتب التي يعتبرونها – أياً كان مدى خطئهم في ذلك – شيئاً لا فائدة فيه مطلقاً إلا لاجتياز الامتحانات[1] ".

ويشير "راسل" إلى أهمية التعليم الفني فيقول "فلن يقتصر الناس على تعلـــم مهنـــة واحدة فحسب كما هو في الوقت الحاضر بل سيتعلمون عدة مهن حتى يكـــون في استطاعتهم تغيير عملهم تبعاً لتغيير المواسم".واكتساب الإنسان أكثر من مهنة – قد عرف فيما بعد باسم المفهوم العنقودي في التربية الأمريكية المعاصرة .

إن المدرسة الحديثة تفضل أن تقام في الريف وفي منطقة جميلة إن أمكن ذلـــك أو على الأقل تكون وسط بستان فسيح بحيث يستفيد الأطفال من الهواء الطلق ومن هدوء الحياة الريفية ويملأون أنظارهم في الوقت نفسه برؤية الأشكال الجميلـــــة والألوان الرائعة وتملك المدرسة الحديثة أراضي زراعية وبذلك يتصـــــل الطفـــل بالأرض وخيراتها وبالحياة الزراعية وعن طريقة ملاحظة الفلاحين واشتغال الطفل بيديه في البستان يتعلم الكثير من الواقع الحي فيترع إلى التعاطف معه ومشـــاركته وجدانياً فتظهر اتجاهات وميول الأطفال الحقيقية من خلال التفاعل مع الواقـــع والتعلم الحق هو الذي يسير وفقاً لميول الأطفال ويشجع علـــى تنميـــة ملكـــة الإبتكار بينهم وفي ذلك يقول "راسل" أن التعليم المفيد حقاً هو ذلك الذي يسير وفقاً للاتجاهات التي تحددها ميول الطفل الغريزية ويضع المعلومات التي يتطلـــع إليها في متناوله وليست المعلومات الجافة المعضلة التي لا علاقة لها مطلقاً برغباتـــه التلقائية[2] " إن التربية الحديثة في الفلسفة الواقعية المعاصرة تثور ثورة قوية ضـــد النزعة الفكرية المجردة بلا شك أنها تحرص أن تقدم لطلابها حداً أدنى من المعـــارف

(١) راسل: " سبل الحرية " ترجمة عبد الكريم أحمد ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، صـــ ١٩٨ ،

(٢) المرجع السابق،ص ١٩٩ .

والمعلومات ولكنها قبل ذلك تهدف إلى تنمية ملكة الابتكار وتكوين إنسان كامل ، فليست التربية تكديس معلومات لعقول الأطفال إنما هي تدريب الأطفال على كيفية البحث والملاحظة والتفكير،باختصار نعلمهم كيف يعلمون أنفسهم . يرفض الواقعيون التربية: التي تعتمد على حفظ المعلومات وتخزينها من الكتب المدرسية حتى إذا ما امتحنوا ونجحوا فإنهم ينسون ما حفظوه وإذا ما أخذوا الشهادة يظنون أن تجهيزهم للحياة قد انتهى ولكن الواقعية المعاصرة ترى أن التربية لا تنتهي عند لحظة معينة من حياة الإنسان كما أنها لا تنصب على نقل معلومات للأطفال،ولكن التربية تعمل على تفتيح ذكاء الأطفال وتنمية ميولهم الطبيعية.إن مذهب الثنائية في الكون والطبيعة الإنسانية يرفضه كل من"راسل"و"بيري"و"وايتهيد"بل إن الأخير كانت فلسفته محاولة للتغلب على هذه الثنائية[1]. حيث لا يمكن عزل العقل عن الجسم،والثنائية التي تفصل بينهما هي تجريد فاسد،"فإن العقل والجسد مرتبطان الواحد بالآخر رباطاً لا ينفصم"[2]. وكذلك رفض"بيري"الثنائية قائلاً "إن الثنائية التي تقسم الطبيعة البشرية إلى جسم وعقل غالباً ما تؤدي إلى تقسيم التربية إلى تربية للعقل وتربية للجسم.وهذا التقسيم فيما يرى"بيري"إنما هو تزييف الحقيقة التي لا تنكر بأن الطبيعة البشرية طبيعة جسدية وعاطفية وإرادية وعقلية أيضاً[3]".وبالتالي اختلف مفهوم الطبيعة الإنسانية في التربية المعاصرة عن المفاهيم السابقة،وذلك لظهور نظريات علمية أدت إلى تغيير النظرة إلى الطبيعة الإنسانية،وإلى تطبيقات تربوية جديدة،ومن المفاهيم القديمة "إن طبيعة الإنسان ثنائية[4]".وإن الإنسان مركب من عقل وجسم

---

(١) جون لويس."مدخل إلى الفلسفة ".ترجمة أنور عبد الملك،لبنان ، المكتبة الاشتراكية ، الطبعة الثالثة،ص٢١٣.

(٢) المرجع السابق،ص٢١٤.

(٣) بيري "آفاق القيمة"،ص٥٥٦.

(4) Brubacher " Modern Philosophies ." p. 80 .

أومن روح وجسم وليس هذا التقسيم للإنسان إلا فرعاً من التقسيم الثنائي للكون. ولما كان العقل من فئة أخرى غير المادة،وبالطبع أشرف وأعلى متزلة منها فإنه هو الذي يستحق الاهتمام والعناية،فقد أدى ذلك إلى التمييز بين نوعين من التربية نوع عقلي،ونوع جسدي.والمربي يبذل معظم جهده في الاهتمام بالعقل وتربيته بالعلوم النظرية المختلفة،وفي المقابل عدم الاهتمام بالجسد وما يتصل به من تربية وتهذيب وتعليم،وقد انتهت هذه النظرية إلى النظر إلى الطبيعة الإنسانية من جهة واحدة ألا وهي العقل الذي يستحق العناية والاهتمام وإهمال الجسم.وتنمية العقل تأتي عن طريق حفظ وتكرار المعلومات،وكلما كان التلميذ يكرر أكثر أدى ذلك إلى تنمية عقله،وفي المقابل كان الإهمال الشديد بالتلميذ وميوله ورغباته وجسمه بصفة عامة.وقد تعرض هذا المفهوم القديم للعديد من الانتقادات إذ أن "الطفل لا يستطيع أن يذهب إلى المدرسة إلا بجسده وعقله[1]". وعكس المفهوم السابق عن الطبيعة الإنسانية نجد أن هناك مفهوماً آخر يرجع كل العمليات العقلية إلى الجسم.وهم يرجعون ثنائية العقل والجسم إلى الجسم."وأفضل شاهد هنا هو السلوكية" حيث يكون الاهتمام منصباً على السلوك الظاهر الخارجي ، فلا مكان للمظاهر العقلية إلا بقدر وجود ما يطابقها ويرافقها عضلياً.وهذه النظرية ليست مادية فحسب ولكنها آلية أيضاً.والتعلم هنا مسألة تحليل كل إلى أجزائه ومسألة تداع أو تكوين ارتباطات بين المؤثر والاستجابة من جهة أخرى،وهذا المفهوم يركز على جانب واحد من جوانب الطبيعة الإنسانية أيضاً ألا وهو الجسم . والفلسفة الواقعية المعاصرة لا تركز على جانب واحد دون الآخر ولكنها تنظر إلى الإنسان نظرة كلية وليس إلى جانب واحد فقط من جوانبه ولذلك تركز الواقعية المعاصرة على الجانب الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي والحسي والإدراكي .

(1) I Bid . P . 80

ثالثاً : الطبيعة الإنسانية بين التغير والثبات :

الفلسفة الواقعية ترى أن الطبيعة في حالة تغير دائم وصيرورة مستمرة وحركة دائبة،وكذلك الطبيعة الإنسانية في تغير مستمر بل إن التغير أصبح سمة المجتمعات الحديثة ،فلم تعد الطبيعة الإنسانية جامدة باقية على حالها على مر العصور إنما هي متغيرة.ويترتب على ذلك قابليتها للتعديل من جهة كونها تستطيع التعلم وبذلك يمكن تنمية الموجود الإنساني من كافة جوانبه،وهذا معناه أن الإنسان يستطيع أن يغير مجرى حياته،وأن المجتمعات تستطيع أن تشكل أبناءها وأن تغير من حاضرهم ومستقبلهم ، ولما كانت البيئة التي يعيش فيها الإنسان متغيرة فكلن لابد للإنسان أن يغير ويطور ذاته وأدواته حتى يتلائم ويتكيف مع بيئته.وفي نفس الوقت يغير الإنسان من بيئته التي يتفاعل معها.وعلى هذا تكون الطبيعة الإنسانية متغيرة.والبيئة كذلك متغيرة بل هناك تفاعل بينهما."والمبدأ الأساسي في فلسفة "وايتهيد": العالم تغير وتطور وحركة وعمل وسير [1]" ويعتمد ذلك المبدأ في فلسفة "وايتهيد" على علم الطبيعة الحديثة التي تحلل المادة إلى ذرات والذرة إلى كهارب سالبة وكهارب موجبة أو قل إلى إشعاعات ضوئية متحركة أبداً ، فالمنضدة التي أمامي ليست جسماً بل هي خلية كبيرة من أشعة تتحرك بسرعة كسرعة الضوء ، فالطبيعة كلها قوامها حركة دائبة وتطور وتغير.وأهم خصائص هذا التغير أنه يخلق الجديد.وأن الأجزاء لا تتحرك مجرد حركة تنتقل من مكان إلى مكان بل إنها تتحرك وتنشط ليتكون منها تركيبات جديدة لم يسبقها شبيه في ماضي الطبيعة.ومن ثم يكون التطور بل يكون الترقي والتقدم ،ولهذا التطور في الطبيعة خاصيتان هما الامتداد والهدف ، فهو ممتد في المكان والزمان معاً بمعنى أن حركة التغير تسري في نطاق مكاني معلوم وعلى فترة زمنية معينة.وحركة التغير هذه لا تسير إلى غير غاية بل تقصد إلى هدف يراد تحقيقه.فالطفل مثلاً في تغيره

---

(١) ذكي نجيب محمود "حياة الفكر في العالم الجديد" ص ٢٢٦

الدائم من حالة إلى حالة إنما يسير بتغيره هذا نحو أن يكون رجلاً،وهكذا في كل شيء [1] ". فالتغير يهدف إلى تحقيق هدف معين وليس تغيراً عشوائياً.ومعنى التربية أساساً قائم على افتراض أن الوجود الإنساني في حالة من التطور،والتغير المستمر ذلك أن الإنسان يمر بسلسلة من التغيرات . والتربية ما هي إلا أحداث هذا التغير في الموجود الإنساني ،ولما كان المجتمع في تغير مستمر "يترتب على ذلك أن أهداف التربية يجب أن تتغير من مكان إلى مكان،ومن زمان إلى آخر[2]"،ولما كانت البيئة دينامية في تغير دائم فإن الحاضر غير الماضي والمستقبل، لأنه بمرور الوقت تتغير الحياة بمعدل أسرع مما كانت عليه في الماضي.ويظهر آثار هذا التغير على جوانب الحياة.فإن التربية ينبغي أن تغير أهدافها ومناهجها ومؤسساتها حتى تتلاءم مع هذه البيئة المتغيرة وإلا حدثت فجوة كبيرة بين التربية والمجتمع،وانقطعت الصلة بين المؤسسات التربوية والمجتمع.ولذلك ينبغي أن تراعي المناهج والمؤسسات التعليمية هذا التغير وإلا انعزلت المدرسة عن البيئة،وكان منتجها بعيداً تماماً عن حاجات المجتمع.ويترتب على ذلك عدم قدرة الخريجين على التكيف مع البيئة.وتخريج أجيال غير قادرة على التكيف والتلاؤم مع المجتمع . ففي ظل هذا التغير السريع للمعلومات والحقائق العلمية لابد أن تغير التربية مناهجها ونظمها حتى لا تنعزل عن المجتمع،وقد عبر الفلاسفة الواقعيون عن تغير الذات الإنسانية والبيئة والمجتمع فجعلوا الذات والبيئة في تغير لا ينقطع ولا يتوقف،وكل ما حولنا يتغير،وكذلك الذات المدركة تتغير ، فإذا كانت الأشياء الخارجية لا تظل لحظتين متتابعتين على حالة واحدة،فكذلك الذات المدركة لا تثبت على حالة واحدة لحظتين متتابعتين . ، وقد كان " هرقليطس " يؤمن بمذهب التغير في الأشياء،وقد صور ذلك في عبارته المشهورة "إنك لا تعبر النهر الواحد

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٦ .

(2) Brubacher " Modern Philosophies Of Education ,p. 76 .

مرتين " ومعناها أنك حين تعبر النهر للمرة الثانية يكون نهراً آخر فليس الماء هو نفسه الماء الذي كان ،وجاء"وايتهيد"فوسع من المبدأ نفسه بحيث يشمل الذات أيضاً حتى ليصح أن يقال عنها عبارة شبيهة بتلك : إنك لا تفكر الفكرة الواحدة مرتين أو أنك لا تمارس الخبرة الواحدة مرتين،لأنك في كل لحظة تتغير ذاتياً بتغير موضوع إدراكك وهكذا يكون العالم - ذاتاً وموضوعاً — متغيراً ، بل وجديداً ولا يدوم على حال واحدة لحظتين متتابعتين . لكن الشيء إذا تغير تغيراً لا يقف تياره فهو إنما يفعل ذلك بإطراجه لصفات واكتسابه لصفات أخرى . فلو دامت للشيء صفاته لما طرأ عليه تغير [1] . ولذلك يؤكد"وايتهيد"على تغير كل من البيئة والفرد وأن الفرد في تغيره يكتسب صفات جديدة.وكذلك يطرح عن ذاته صفات أخرى.وهكذا الذات تخلع ثوباً لترتدي ثوباً جديداً يتلائم مع البيئة المتجددة والمتغيرة.والذات في تغيرها تنشط.وتخلق تركيبات جديدة ليس لها شبيه في الماضي.ومن ثم فهي في تطور وترق وتقدم ، فالطفل في تغيره يكتسب صفات جديدة لم تكن في الماضي،كما يخلع عن نفسه صفات ماضيه.وهكذا يصور الفيلسوف الواقعي الذات الإنسانيةأنها تتغيرفي كل لحظةوتحتوي الذات في ذلك ما حولها في عملية تطورية واحدة وهي في هذه الحالة تخلق نفسها بنفسها أثناء عملية الخبرة.وما دامت الحياة في تغير،فإن ما هو صالح اليوم للتلاميذ في الوقت الحاضر لا يكون صالحاً في المستقبل.وعلى ذلك فإن التربية لابد أن تكون متغيرة ومتطورة تبعاً لتغير المجتمع.وأن تعمل التربية على تقبل التلاميذ التغير الذي يطرأ في المجتمع الذي يعيشون فيه كعملية طبيعية حتى يمكن أن يتكيفوا التلاميذ مع مجتمعهم .والإنسان مدني بطبيعته ، يعيش مع الآخرين وهو يتعرض لخبرات عديدة فهو يحتك بالبيئة ويكتسب منها خبرات ،ويتفاعل معها ،وهنا يتعلم ويكتسب مهارات حياتية ومعلومات ،بل إنه ينمي قدراته وإمكاناته واستعداداته .

---

(١) ذكى نجيب محمود " حياة الفكر في العالم الجديد " مرجع سابق ص٢

. ومن هنا فإن فلسفة الواقعيين المعاصرين فلسفة تطورية تؤمن بالتطور والتغير والتقدم بل إن فلسفة "بيري" و"راسل" و"وايتهيد" فلسفة تطورية[1] بمعنى الكلمة " وعندها أن التغير ليس مجرد تغير ولكنه نمو يتضمن ليس القضاء على القديم بل المحافظة عليه وتحويله وإضافة الجديد إليه[2]". والتربية كما يرى "بيري" هي السبيل الثقافي التي تأخذ بها أجيال متتابعة من الناس مكانها في التاريخ ... وهي تأخذ على عاتقها الحمل الكامل لأنسنة الإنسان وفق زمانه وخلق الإنسان الحديث للسنة الحالية أو وفق آخر نموذج راهن،وبواسطة التربية يكتسب الناس حضارة الماضي،ويمكنون من المشاركة في حضارة الحاضر،وعمل حضارة المستقبل،وخلاصة القول أن هدف التربية ثلاثي : الوراثة والمشاركة والإسهام[3]" والتربية الاجتماعية هنا تعمل على حفظ التراث الحضاري ونقله من جيل إلى جيل من أجل المحافظة على المجتمع واستمرار ثقافته وحضارته،ولكن لا يعني ذلك أن الواقعيين المعاصرين اعتبروا العقل الإنساني وعاء لنقل التراث فقط ولكن. يشارك العقل في تطوير الحضارة الإنسانية من حيث المشاركة الفعالة في إنتاج ثقافة جديدة تستخلص من الماضي قيمه الصالحة للحاضر،وبالتالي فهي تشارك وتساهم في التغير الثقافي والحضاري للإنسانية عامة،فالتربية تعني تقديم خبرات الأجيال الماضية إلى الحاضر أو هي اكتساب حضارة الماضي والمشاركة فيها من أجل عمل حضارة المستقبل . " ولولا التربية بهذا المفهوم لكان كل جيل مضطراً إلى أن يبدأ الحياة من الأول مرة ثانية.ولن يكون ثمة استمرار أو نمو إلا داخل هذه الفترة الصغيرة من السنين الممنوحة للفرد[4]". لذلك فإن التربية وراثة لحضارة

---

(١) لوسيان برايس " محاورات ألفريد نورث هوايتهيد " ترجمة محمود محمود ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٧ . ص٢٠.

(٢) جون لويس " مدخل إلى الفلسفة "، مرجع سابق .ص٥٥٣.

(٣) بيري " آفاق القيمة"، مرجع سابق . ص٥٥٣.

(٤) المرجع السابق ص٥٥٤ .

الماضي مع تجديد هذه الحضارة والمشاركة فيها لذلك " ينبغي على الذين يرثون حضارة الماضي أن يعيشوها في زمانهم [1] " وأن يحسنوا ما خلفه الماضي، وأن يورثوا أكثر مما ورثوا ".فإن التربية من أجل المستقبل تتضمن التربية من أجل مستقبل من صنع الإنسان،ولذلك يعرف"بيري"التربية بأنها العملية التي يتشرب بها الأفراد التراث الإجتماعي ويمكنون من أن يستفيدوا به في حياتهم الحاضرة وفي صنعهم للمستقبل[2]".ويرى"راسل"أن الإنسان يولد ولديه غرائز واستعدادات يمكن أن تنميها البيئة حتى تصل إلى أخلاق شتى،ويحدث ذلك في بواكير الطفولة ولذا كانت هذه الفترة من العمر غاية في الأهمية لأنه يمكن فيها تكوين الخلق فقبل العام السادس من السهل تشكيل الطبيعة الإنسانية ، ويصعب إذا تقدم السن حتى ظن البعض أنه لا سبيل إلى تغييرها ،ويرد الواقعيون على أولئك الذين يرون أنه من الصعب تغيير الطبيعة الإنسانية.فإن هؤلاء يضربون بعلم النفس عرض الحائط رافضين الحق والحقيقة العلمية. فإنه حتى الغرائز يمكن تدريبها ،وتعديل السلوك الإنساني حيث يمكن خلق جيل جديد من البالغين يختلف سلوكه عن الجيل الحالي ،ومن يقول عكس ذلك فإنما يرفض علم النفس الحديث كله والعلوم التربوية . فالتربية تلعب دوراً كبيراً في تشكيل الطبيعة الإنسانية . فإذا كان لدينا طفلان ولدا على خلق واحد فقد يتحولان بتأثير اختلاف البيئة إلى بالغين يختلفان في الميول والسلوك ،ويتضح عمل التربية في تغيير السلوك خاصة في المرحلة الأولى للطفل حيث يمكن تدريب الغرائز لدى الأطفال ،وبث قيم الحب والشجاعة والصراحة وتنمية الذكاء والهمم كل هذه القيم يمكن تحقيقها بالفعل حينما نربي الأطفال كما ينبغي " فلو أن المعرفة الموجودة استخدمت والطرق الصحيحة أُستعملت في التربية لاستطاعنا في ظرف جيل واحد أن نظفر

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع سابق ص٥٦٧

بسكان يكادون يخلون من الأمراض ومن النزوع إلى الشر ،ومن الغباء[1]"، فالطبيعة الإنسانية قابلة للتشكيل سواء للأفعال المستحبة أو غير المستحبة . بل إن التغير لا يشمل الطبيعة الإنسانية فقط بل يشمل الكون كله فكل شيء في تغير مستمر سواء كان من ناحية العادات أو المعرفة أوالأحداث أو كما يقول"بيري" " إن العادات والخبرة الفنية والمعرفة تتغير بين فترة وأخرى بل تختلف من جماعة بشرية عنها من جماعة أخرى في العالم ضمن فترة واحدة[2]".ولذلك يرفض الواقعيون المعاصرون القول بان الطبيعة الإنسانية ثابتة مؤكدين على تغيرها ونموها وتطورها فهم يعارضون قول"هتشنس" في قوله:بأن الطبيعة الإنسانية ثابتة وغير متغيرة حيث يقول"هتشنس" " إن وظيفة الإنسان كإنسان لا تتغير باختلاف السن أو اختلاف المجتمع,وطالما أنها تنبع من طبيعته كإنسان.ولا يتغير هدف النظام التعليمي باختلاف السن أو المجتمع إن الهدف هو رقي الإنسان كإنسان[3]". يرى"هتشنس"أن الإنسان لا يتغير ولذلك فعلى التربية ألا تتغير إلا قليلاً جداً من عام لآخر أو من قرن لقرن ، ،و إذا جاز للتربية أن تتغير فلا يكون ذلك رد فعل لتغير حياة الناس أو التغير التكنولوجي وإنما يحدث التغير لأن الحق قد تغير،وأصبح أكبر ضماناً لدى الإنسان،وحتى هذا التغير يرتبط بالمضمون والمحتوى لا بأهداف التربية وطرائقها ، فالإنسان في طبيعته واحد لا يتغير بإختلاف الزمان والمكان ، إلى هنا انتهى مذهب"هتشنس"في قوله بثبات الطبيعة الإنسانية في كل العصور ولكن الواقعيين المعاصرين ذهبوا غير هذا المذهب قائلين بتغير العالم والإنسان,وهذا يتطلب نوعاً جديداً من التربية التي تتلاءم مع هذا

---

(١) راسل" " في التربية " مرجع سابق ص

(٢)"وايتهيد" مغامرات الأفكار " مرجع سابق ص

(٣) بول وودرنج "نحو فلسفة التربية" ترجمة فكري حسن ريان،وسعد مرسي أحمد ، القاهرة ، عالم الكتب، ص ٣٩ .

التغير والنمو المستمر في الكون والمجتمع والإنسان،لذلك كانت فلسفة الواقعيين المعاصرين فلسفة تطورية تؤمن بالتغير والتطور .

رابعا : الطبيعة الإنسانية بين الثواب والعقاب .

الفلسفة الواقعية المعاصرة لا تنكر العقاب في العملية التعليمية ولكنه يحتل مكاناً ضئيلاً جداً ،وذلك لم للعقاب من آثار سلبية على الفرد والمجتمع في آن واحد ،ولذلك ليست الواقعية المعاصرة من دعاة العقاب ،ولكنها لا تنكر أن للعقاب دوراً في التربية .ولا يعني ذلك أن الواقعية من دعاة الثواب دون العقاب . لأن الثواب الدائم يفقد قيمته أثناء العملية التعليمية. ولذلك فإن الواقعية المعاصرة تحذر من الإفراط في استخدام العقاب ،وكذلك الثواب أيضاً ،وكأن المبدأ التي تقوم عليه الواقعية لا إفراط ولا تفريط في معاملة الطفل. ويشير"راسل"إلى العقاب في التربية رافضاً استخدام العصا للطفل. وفي ذلك يقارن بين استخدام الكرباج للحصان،بالعصا للطفل. ويحذر الفيلسوف الواقعي من الإفراط في استخدام العقاب . لأن ذلك يخلق إنساناً مدمراً لنفسه ولمجتمعه. فإن استخدام العقاب يدمر نفوس الأطفال ،ويحطم حياتهم ويهدد مستقبلهم ،ويؤدي بهم في النهاية إلى التشرد والفشل الدراسي ،وبل يصبح هؤلاء الأطفال عدوانيين ،وغالباً ما يحاولون الانتقام لأنفسهم من المجتمع فالعقاب يخلق العداء بين المدرس والتلميذ ويجعل التلاميذ يحملون كراهية مغروسة في قلوبهم خلال حياتهم[1]". ويقول "راسل"في موضع آخر "أسلوب العقاب والثواب فاشل تماماً[2]". لأن العقاب له خطورته في إنتاج سلوك اجتماعي يحمل مشاعر الكراهية والعداوة التي تظل مستمرة وتنمو أقوى فأقوى ،وتقود إلى ميول الظلم التي ستصبح في النهاية لا تقاوم."ففي الرجل ضعيف الإرادة يمكن أن تنفجر هذه الميول إلى إجرام ..

---

(1) Russell "Education and the social order " P.30 .

(2)I Bid P 56 .

بل من الممكن أن يصبح طاغية في البيت ، مهملاً في الأعمـــال ، مشـــاغباً في السياسة،مضطرباً في تصرفاته الإجتماعية[1]".ولذلك يرى الواقعيون أن العلاقة التي بين المعلم والمتعلم ينبغي أنتكـــونعلاقة تقوم على الراحة الطبيعية ،ولا ينبغي أن تقوم على الإرهاب والخوف،لأن هذا الجو السيء يسبب كراهية المتعلم لكل من مجتمعه ومعلمه والدراسة. مما يسبب فشلاً دراسياً للتلاميذ. كمـــا أن العقـــاب يسبب الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية. والواقعية المعاصرة ترى أنه يجـــب أن توقع العقوبة على الطفل العدواني ،لا للانتقام منه بل لأن العقاب مظـــهر مـــن مظاهر عدم الرضا عن تصرفاته العدوانية ،ويعتقد"راسل"أن العقوبة الخفيفة نافعـــة جداً بالنسبة للسلوك العدواني للأطفال ،ولكن ينبغي أن نستخدم العقاب بحـــذر ومهارة وعدم المبالغة فيه .ففي حالة طفل يؤذي آخر يحسن أن نوقع نفـــس الأذية على الطفل المعتدي ،ولكن لا يكون ذلك بشكل انتقامي بل يكون بطريقة تعليمية ،ولهدف تربوي سليم .

ومشكلة العقاب اختلفت الفلسفات حولها بين مؤيد ومعارض ،وهناك من يدعو إلى العقاب ،وهناك من يدعو إلى الاستغناء عنه ،ولكن الفلسفة الواقعية المعـــاصرة لا تدعو إلى العقاب ،وفي نفس الوقت لا تلغيه ،ولكن تتعامل معه بحذر نظـــراً للأضرار التي تقع على المتعلم والمجتمع .إذ أن العقاب يخلق أطفالاً قساة القلـــوب يريدون الانتقام لأنفسهم من المجتمع،فيكونون مدمرين لأنفســـهم ومجتمعـــهم . وتدلنا نتائج علم النفس المعاصر على أضرار اســـتخدام العقـــاب في المواقـــف التعليمية من حيث أن العقاب يعوق نجاح عملية التعلم ،ويتضح ذلك من خـــلال الآتي

١- العقاب يعلم الناس ماذا يتجنبون ،وليس ما ينبغي عمله ،ومن ثم العقـــاب وسيلة سلبية وغير إيجابية .

(1) Ibid ،P. 57 .

٢- العقاب يعلم سلوكاً محدوداً ويقتصر على اكتساب السلوك المعاقب عليه ، أما استخدام العقاب كوسيلة لتعليم مفاهيم أوسع وأرحب فقليل الأهمية .

٣- العقاب صورة من صور التهديد وذلك أن العقاب لا يستثير الناس لأداء أعمال موجبة إنما يهددهم ،والتربية الحق لا تعتمد كثيراً على العقاب،لأن من أهداف التربيةانفتاحالفرد على خبرات جديدة وزيادة وعيه ،وتنمية مفهوم إيجابي ،ولا يفلح العقاب في تحقيق هذه الأهداف .

٤- العقاب يخلق استجابات سالبة حيث يدمر العقاب نفوس الأطفال ،ويهدد حياتهم بالفشل في الدراسة والتشرد والإصابة بالأمراض النفسية .

٥- العقاب يتجاوز السلوك إلى صاحبه إذ من اليسر أن يستحب الطفل حكمنا على سلوكه بالسوء إلى ذاته فيعتقد أنه هو السيئ وليس سلوكه فقط .. فالطفل يدرك العقاب الموجه إلى كف سلوكه على أنه تهديد لذاته[1] . ولذلك يحتل العقاب مكاناً ضئيلاً في التربية ،وفي الفلسفة الواقعية المعاصرة على عكس ما كان سائداً في فلسفات أخرى تؤيد العقاب لأنه يولد الكراهية التي لا تقف عند حد المعلم فقط ولكنها تمتد إلى المادة الدراسية والمجتمع وكذلك يخلق أفرادا مشردين قلبا وقالبا.

كان عقاب الأطفال في العصور السابقة أمراً عاديا ،وكان الإجماع منعقداً على أنه لا غنى عنه في التربية وحتى"روسو"المعروف بترك الأمور للطبيعة فهو أميل أن يدافع عن عقوبات فيها شدة وصرامة الصورة التقليدية مثل الضرب بالعصا ،ولكن في التربية الحديثة نادراً ما تجد من يدافع عن العقاب الشديد للطفل ولكن بين المربين خلافاً حول هذه الأساليب فمنهم يرى ضرورة الاستغناء عنه نهائيا ومنهم من يدافع عن قدر محدد من العقوبات ويرى"راسل"و"بيري"و"وايتهيد" أن

---

(١) أرثر كومز "خرافات في التربية" ترجمة عبد الحميد شيحة،القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٠ ، ص ٩٠ .

للعقاب مكاناً ثانوياً في التربية ولكنهم يرفضون الشدة في العقاب.ولذلك يرون أقسى عقوبة التشديد في القول والإغلاظ فيه للتعبير الطبيعي عن السخط.ويروي "راسل"أن ابنه كان خشناً مع أخته الصغيرة وصرخت أمه في وجهه صرخة شديدة أظهرت غضبها،وقد كان لهذه الصرخة تأثير كبير إذ انفجر الطفل باكياً ولكن لهذه الحادثة أثراً عميقاً في سلوكه الحسن مع أخته بعد ذلك.ولذلك يرى "راسل"ضرورة العقاب.وفي ذلك يقول"راسل""وقد لجأنا إلى عقوبات خفيفة في أحيان قليلة أصر في بعضها على طلب أشياء كنا قد منعناه إياها،وفي بعضها كان يتدخل في لعب أخته،وفي مثل هذه الأحوال كنا إذا أخفق التعقل والنصح نأخذه إلى حجرة نتركه فيها وحيداً،ونترك الباب مفتوحاً.ونقول له:لك أن تعود إلينا متى صلحت.وكان بعد أن يقضي دقائق معدودة في بكاء شديد يجيء إلينا،ويظل بعد ذلك حسن السلوك.ولم نجد أية حاجة تدعو إلى عقوبات أشد[1]"،وعندما يتدخل الطفل في أعمال غيره من الأطفال أو يفسد عليهم مسراهم فالعقوبة البديهية نفيه إذ من الظلم أن يترك يؤذي الأطفال الآخرين ويستشهد"راسل" "بمنتسوري"في طريقتها "بخصوص العقوبات وقد صادفت أطفالاً يضايقون غيرهم غير آخذين بنصائحنا فمثل هؤلاء كان يفحصهم الطبيب في الحال إذا ما تبين أن الطفل طبيعي عزلناه في ركن من أركان الحجرة نضع له فيه منضدة صغيرة وكرسياً صغيراً مريحاً بحيث يستطيع أن يرى زملاءه يعملون وهو جالس وأمددناه باللعب والألعاب الأحب إليه فكان هذا العزل يفلح في تهدئة الطفل . كان الطفل من حيث هو جالس يرى الجميع يشتغل وكانت الطريقة التي يقوم بها زملاءه درساً عملياً له سحر أكثر من أي كلمات يمكن لأي معلم أن يقولها وشيئاً فشيئاً كان الطفل يدرك ميزة كونه فرداً من أفراد الجماعة التي تعمل بجد وإقبال أمام عينيه،وهو يتمنى أن يعود فينضم إليهم ويفعل كما يفعلون.

---

(١) راسل"في التربية"ص ١٢٠.

خامساً: الطبيعة الإنسانية بين الوراثة والبيئة

تتأثر الطبيعة الإنسانية بكل من عاملي الوراثة والبيئة ، فعملية تنمية الموجود الإنساني تتأثر بعدد من المؤثرات المختلفة بعضها يصدر عن الفرد.وبعضها الآخر نابع من البيئة التي يتفاعل معها ،ويختلف العلماء والفلاسفة حول المؤثرات المختلفة التي تشكل الطبيعة الإنسانية.

١- الوراثة

الوراثة هي كل العوامل الداخلية التي تشارك في تكوين الإنسان حينما توضع بذرته ويتشكل تكوينه البيولوجي ،باتحاد خلية الذكر مع بويضة الأنثى،وتتحد الخليتان في خلية واحدة تنمو بعد ذلك حتى يتشكل الجنين .وهذه الخلية المكونة من خلية ذكرية،وأخرى أنثوية تحمل الخصائص الوراثية للفرد من والديه عن طريق الجينات genes التي تحملها الصبغات الكروموزومات من خليتي الأم والأب.وهذه الصفات الموروثة لا تأتي من الوالدين فقط بل من الأسلاف والأجداد السابقين .

وتختلف الصفات الموروثة باختلاف الجنس والسن والسلالة . حيث نجد أن سكان أفريقيا يختلفون عن سكان أوربا وعن شرق آسيامن حيث اللون والقوام والبشرة ولون الشعر وملامح الوجه،إذ تنتقل الصفات عن طريق الوراثة من الآباء والأجداد إلى الأبناء ، هذه الصفات التي تساهم بشكل كبير في تشكيل الموجود الإنساني مدى الحياة .

٢-البيئة

والبيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من موجودات طبيعية أو غير طبيعية ،يتأثر بها ويؤثر فيها سواء كانت بيئة جغرافية أو طبيعية أو اجتماعية.

البيئة الطبيعية الجغرافية هي عوامل التضاريس والمناخ والطقس التي تؤثر في حياة الإنسان ونشاطه الاجتماعي والاقتصادي، كما تؤثر في حياة الإنسان وقيمه وأسلوب تنشئته ، فالبيئة وعوامل الطقس وأشعة الشمس تؤثر في الفرد وثقافته . والبيئة الاجتماعية والثقافية تؤثر بشكل كبير على شخصية وتكوين الإنسان ، فالمؤسسات الاجتماعية من أسرة ومدرسة ومكتبة وحضانة وجامعة ومسجد وكنيسة ووسائل الإعلام تؤثر في نظام حياة الأفراد ، كما تحدد أسلوب تنشئتهم ونموهم الجسمي والعقلي والإنفعالي والإجتماعي . حيث تسهم هذه الوسائط التربوية في التكوين الروحي والعاطفي والإجتماعي للأفراد ،وكلما كانت البيئة صحية كان تأثيرها أفضل في تكوين ،وتشكيل الإنسان،وكلما كانت البيئة غير ملائمة كان تأثيرها سيئاً على الأفراد .

٣-الوراثة والبيئة

الواقعيون بصفة عامة لا ينكرون أن الطبيعة الإنسانية تتأثر بكل من الوراثة والبيئة في نفس الوقت ، فالفيلسوف الواقعي لا ينحاز إلى تأثير عامل الوراثة في الطبيعة الإنسانية ،وفي نفس الوقت لا ينكر تأثيرها على الإنسان بالإضافة إلى أن الواقعي يؤكد على أهمية دور البيئة في تشكيل الطبيعة الإنسانية.ولكنه لا ينحاز إلى البيئة على حساب الوراثة،ولكن لكل منهما دوره المؤثر في تشكيل الموجود الإنساني . ولذلك يقول"راسل""يجب أن نعترف أن الوراثة لها نصيب في تكوين شخصية الإنسان ،وأن الثقافة – البيئة – ليست العامل الوحيد الذي يمكن اعتباره في هذا الشأن[1]" .

ولذلك نجد"راسل"يعترض على" واطسن" بأنه بالغ في تأثير التربية ، عندما إعتقد أن من الممكن أن نجعل أي طفل ما نريده عن طريق تربية معينة.ولكن"راسل" يتساءل لماذا لم يذكر لنا"واطسن"نوع هذه التربية؟ وفي ذلك يقول"راسل"معبراً

---

(1) Russell "The Impact Of Scienie On Society" P . 18.

عن"واطسن"الذي يعتقد أن أي طفل بواسطة تربية معينة يمكن أن يصبح "موزارث"أو"نيوتن"، ولكن لسوء الحظ لم يعلمنا أي نوع من التعليم يجب أن يكون هذا[1]". وكذلك يعترض" راسل"على"جودارد"goddard و"تيرمان" Terman لأنهما أكدا على أسبقية الوراثة على البيئة في تشكيل الإنسان ذلك لأن "بيري"و"راسل"و"وايتهيد"اعتقدوا أن الإنسان حاصل تفاعل كل من العوامل الوراثية والبيئية ، وفي هذا يقول"راسل"أن الآباء الذين ترث منهم عناصر الوراثة هم أيضاً جزء هام من البيئة[2]". ومن هنا فإن أعمال الإنسان تصدر عن عاملين فهناك ما يولد به الإنسان فطرياً ،والعامل الثاني تأثير البيئة في الإنسان بما في ذلك التربية ،وتوجد اختلافات كثيرة بين هذين العاملين.فالفلاسفة والمربون قبل"دارون"كانوا يعزون كل شيء إلى التربية ،ولكن بعد"دارون"ظهر اتجاه جديد يرى التأكيد على الوراثة وأهميتها ،فقد أكد"فرنسيس جالتون"على عامل الوراثة في تكوين الإنسان ،ويذهب"راسل"إلى أن هناك فريقين :فريق المحافظين الذين يؤمنون بأن الوراثة هي العامل الأول في تكوين الشخصية ،وفريق آخر يؤمن بأن التعليم هو المسئول الأول في تكيف شخصية الإنسان وإنما تأتي الوراثة في المرتبة الثانية ،ويقول"راسل"أما أنا فلا أستطيع أن أنحاز إلى أحد الطرفين فإننا لا نستطيع أن نحدد أي جانب من جوانب الشخصية قد تكوّن بفعل الوراثة ،وأي جانب كوّنه التعليم[3]". ويعتقد"راسل"أن كل إنسان يلعب في حياته عامل الوراثة وعامل البيئة معاً ،والمشكلة تتبلور بعد ذلك حول إعطاء الأولوية لأي من الطرفين.ولو أردنا أن نثبت صحة إحدى الطرفين لوجب علينا أن ندرس أثر الوراثة وأثر التعليم في توأمين انفصلهما عن بعضهما منذ ولادتهما ،ويقول"راسل"

---

(1)Russell "Education And The Sociol Order" P . 45 .

(2) I Bid P . 44 .

(٣) راسل "الزواج والأخلاق" ترجمة علي محمد علي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ص٢٧ .

" وإني أرى أن التعليم الرديء يسيء إلى الشخصية ثم إني أرى في الوقت نفسه أن استعداد الشخص " الاستعداد الموروث" هو الذي يجعل فرداً يتفوق على الآخر .إني لا أعتقد أن في استطاعة أي تعليم أومران أن يخلق من شخص عادي عازف بيانو عبقرياً مثلاً ولا أعتقد أن أية مدرسة بلغت ما بلغت من الكمال يمكنها أن تجعل من جميع تلاميذها صوراً طبق الأصل من العلامة"أنشتين"وهكذا يمكنني أن أقول دون شك أن الأشخاص يختلفون في قدراتهم الموروثة[1]" .وإذا كان الفلاسفة والمربون قبل" دارون"أكدوا على التربية.فإن بعده أظهروا أهمية الوراثة في التربية، إلا أن"راسل"والواقعيين المعاصرين أكدوا على العاملين في تشكيل الطبيعة الإنسانية .

وخلاصة القول أن الواقعيين المعاصرين أكدوا على أن البيئة والوراثة يسهمان في تشكيل الموجود الإنساني الذي هو حصيلة التفاعل بينهما .ويتم هذا التفاعل بصورة آلية يصعب الفصل بينهما.إذ من الناحية الواقعية يصعب الفصل بين تأثير الوراثة عن تأثير البيئة إلا من الناحية النظرية فقط ،وإذا كان الإنسان يرث العديد من الصفات عن الآباء والأجداد فإن هذه الصفات الوراثية تختلف من فرد إلى فرد.فإن الناس ليسوا متساوين بالميلاد لاختلاف الصفات الوراثية عن السابقين ويترتب على ذلك وجود فروق فردية بين الناس في التعلم.واكتساب المعرفة والمهارات المختلفة.ومن هنا تشير الدراسة إلى الفروق الفردية بين الأفراد في التعلم بأشكاله المختلفة .

سادساً : الفروق الفردية

ترى الواقعية المعاصرة أن هناك فروقاً فردية بين الأفراد في الجوانب الجسمية والعقلية والوجدانية والنفسية ،وبل توجد هذه الفروق الفردية داخل الفرد نفسه من مرحلة عمرية إلى أخرى نظراً لإختلاف خصائص كل مرحلة ،وخاصة أن

---

(١) المرجع السابق ص٢٧

الفيلسوف الواقعي يؤكد على تغير الطبيعة الإنسانية في كل يوم عن اليوم السابق وينعكس ذلك على تربية وتعلم الأفراد صغاراً كانوا أو كبارا ،فالتلاميذ ليسوا متساوين في الفصل الواحد فيما يملكون من صفات وخصائص جسمية وعقلية رغم تقاربهم في السن ،وهذه الفروق تؤثر في كفاءة وأداء التلاميذ من الناحية التربوية ،فقد يوجد بينهم من هو سريع التعلم ،ومن هو بطيء التعلم ،والمدرس الناجح هو الذي يراعي هذه الفروق الفردية بين تلاميذه .

وقد كانت التربية التقليدية تركز على المعلومات التي ينبغي أن يتعلمها جميع التلاميذ دون التمييز بين تلميذ وآخر.والمعلم يشرح هذه المعلومات بطريقة واحدة.والامتحان موحد لجميع التلاميذ.وفي ذلك إهمال لمبدأ الفروق الفردية بين التلاميذ.وهو من المبادئ الهامة في الفلسفة الواقعية المعاصرة ،ويعتقد"راسل"أن "جون لوك"و"جان جاك روسو" قد عرف هذا المبدأ الذي يميز ما بين الأطفال من فروق فردية ،كما يرى"راسل" أن "هذه الفروق ترجع إلى الوراثة.وكذلك إلى البيئة المحيطة بالتلميذ.، وخبرة المدرسين تؤثر على هذه الفروق ،وهنا يشير "راسل" إلى أن الفروق الفردية بين التلاميذ لا ترجع إلى العوامل الوراثية فقط بل ترجع إلى عوامل بيئية ،وفي كل الأحوال "فإن أهمية الفروق الفردية بين البشر لا يمكن إنكارها [1]" والذي يؤكد عليه الواقعيون أن الفروق الفردية ترجع إلى عوامل وراثية وعوامل بيئية ففي تأثير الوراثة يرى"راسل"أن من "المسلم به أن الولد الأبله ،والولد الذكي هما مختلفان منذ الولادة عن الطفل العادي[2]". فهناك الطفل متوسط الذكاء وهو العادي.والطفل مرتفع الذكاء.وكذلك قليل الذكاء . وهذه الفروق ترجع إلى عوامل فردية يولد الإنسان بها.وبالتالي لا يمكن أن يتساوى جميع التلاميذ في الفصل الواحد نظراً لإختلافهم في درجة الذكاء أو

---

(1) Russell "Education and The Social Order" P . 48 .

(2) Ibid . p 47 .

درجة الاستيعاب بالإضافة إلى إختلافهم في الميول والحاجات والمشاكل التي تصادف كل منهم.ويكون نتيجة ذلك فشل بعض التلاميذ في حين يتفوق البعض الآخر ،وذلك يرجع إلى الفروق الفردية بين التلاميذ كما يرى"راسل"أن الفروق الفردية ترجع إلى البيئة التي يعيش فيها الفرد حيث أنه يرى "أن الفروق التي توجد بين شخص وآخر تتكون من الخبرة التي يشكلونها والظروف التي تسيطر عليهم[1]".ونظراً للفرق الفردية فإن بعض التلاميذ يستطيعوا ان يتابعوا الدرس بسهولة ويركزوا انتباههم في حين نجد البعض الآخر من التلاميذ يعجزون عن التركيز.ويرجع ذلك التفاوت بين التلاميذ إلى الذكاء وعوامل بيئية أخرى. ويتطلب ذلك من المعلم أن يغير طريقته في التدريس لتلائم هذه الفروق.وقد يلجأ أحياناً لتفريد التعلم ،أي يعمل مع كل تلميذ وفقاً لاستعداداته وقدراته العقلية والجسمية من أجل نجاح العملية التعليمية ،وعند إهمال مبدأ الفروق الفردية بين التلاميذ فإن ، نتيجة ذلك فشل بعض التلاميذ نظراً،لأن المناهج لا تراعي الفروق الفردية فإنها تؤدي إلى فشل بعض التلاميذ.وإذا كان الواقعيون يؤكدون على مبدأ الفروق الفردية داخل التعليم،فإنهم يحذرون من أن يؤدي هذه بالتربية إلى نظام تربوي يقتصر تطبيقه على فئة أرستقراطية محظوظة . فإن نظام مثل هذا يعد مستحيلاً،ولكن التربية هي إتاحة الفرصة للتلميذ للنمو الطبيعي.ويرى الواقعيون المعاصرون "أن من المبادئ الهامة في التربية والتعليم هي مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد فيجب على المدرس أن يدرك ويتدرب على التعامل على قاعدة الفروق الفردية بين الأفراد في المدرسة[2]"

---

(1) I Bid . P 46 .

(2) Milly Cowles "Perspectives In The Education Of Disadvantaged Children" London . International Texbook .Co . 1969 . P . 294 .

وقد أكد وايتهيد على أهمية مراعاة الفروق الفردية في العملية التعليمية حيث أن "الأفراد مختلفون وينبغي ألا يستبد بهم فيضغطوا داخل نطاق ضيق موحد في النظام التربوي[١]". وأما "بيري" فإنه يربط بين الفروق الفردية وبين المناهج إذ لابد أن يراعي واضعوا المناهج "الفروق الفردية في الجنس والسن وخصائص الذاكرة والخيال[٢]". وإذا كان للتربية أن تحقق مطالب الأفراد فمن الواضح أنه ليس "هناك من منهج واحد دقيق يمكن أن يفرض على الجميع"، حيث توجد الفروق بين الأفراد سواء كان في القدرات أو في الميول. ومع ذلك ينبغي أن يكون في الإمكان رسم الخطوط الكبرى لنظام في التربية شامل بحيث يحقق الحاجات الإنسانية الأساسية لجميع الطلاب تقريباً، وفي نطاق هذا البرنامج العام ينبغي أن تتنوع التفاصيل الدقيقة للعملية التربوية في كل مدرسة على حدة[٣]" وفي كل فصل نظراً لوجود فروق فردية بين التلاميذ في الفصل الواحد. ويشير "راسل" إلى الفروق الفردية بين الناس إذ يقول "يجب أن نعترف أن الناس ليسوا متساوين في الميلاد[٤]" بل مختلفين لإختلاف الصفات الوراثية التي يرثها الأبناء عن الآباء. ونظراً للفروق الفردية بين التلاميذ يقترح "راسل" إنشاء مدارس خاصة للأولاد الأذكياء بدلاً من أن يكونوا في مدارس متوسطي الذكاء وغيرهم[٥] ، وإذا كانت الفروق ترجع إلى عوامل وراثية فهي كذلك ترجع إلى عوامل بيئية اجتماعية. ومن هنا تأتي أهمية البيئة الاجتماعية في تكوين شخصية المتعلم. ولذلك تشير الدراسة في الصفحات القادمة إلى الأساس الاجتماعي للطبيعة الإنسانية .

---

(١) جونسون "فلسفة الحضارة عند وايتهيد" مرجع سابق ص

(٢) بيري "آفاق القيمة" ص٥٦٨ .

(٣) جونسون "فلسفة الحضارة عند وايتهيد

(4) Russell "The Impact Of Science On Society" P . 18 .

(5) Russell "The Education And Social Order" P . 64 .

سادسا : الأساس الاجتماعي للطبيعة الإنسانية

إن الأساس الإجتماعي للطبيعة الإنسانية يعتمد على أن الإنسان اجتماعي بالفطرة ومدني بطبيعته يعيش مع الآخرين في بيئة ،ولا يمكن أن يعيش في عزلة كاملة عنهم ،فهو يولد وينشأ وينمو ويتربى معتمداً على الآخرين في كل مرحلة من مراحل نموه ولذلك يعتبر الفرد جزء من المجتمع الذي يعيش فيه.فهو يرتبط بالعائلة والمجتمع والدولة والعالم كله،"والواقع يكشف أن الإنسان يبدو في كل زمان ومكان وقد أمسكت به شبكة معقدة من علاقات اجتماعية مختلفة[1]". وبما أن الإنسان جزء من المجتمع،فإن التربية تقوم بتنشئة الفرد اجتماعياً،ويصبح الغاية من التربية إعداد الفرد للحياة الإجتماعية،فهي تحول الفرد من كائن بيولوجي إلى إنسان اجتماعي يستطيع أن يتكيف مع بيئته الاجتماعية.ولذلك فإن التربية تنمي في الفرد الميول الإجتماعية.وتعمل على إكسابه العادات والقيم والتقاليد السائدة في المجتمع حتى يصبح فرداً قادراً على الحياة مع الآخرين ،وإذا كان الإنسان جزء من المجتمع فإن التربية حلقة تصل بين الفرد والمجتمع.وهي أداة المجتمع لتنشئة أفراده تنشئة تضمن تكيفهم مع هذا النظام الإجتماعي.والتربية كعملية اجتماعية لا تنشأ في فراغ إنما تنشأ في نظام اجتماعي تستمد منه خصائصها ومقوماتها ،ولذلك تصبح التربية حلقة وصل بين الفرد والمجتمع،وفي نفس الوقت تتأثر التربية بكل من الفرد والمجتمع على السواء.فهي تتأثر بحاجات وميول الأفراد كذلك تتأثر بثقافة المجتمع ونظامه وتقدمه وتركيبه الإجتماعي وتغيره ومرونته ومشكلاته.وكل ذلك ينعكس على النظام التعليمي في المجتمع.ولذلك تختلف نظم التربية والتعليم من مجتمع إلى آخر ،وفي المجتمع الواحد من فترة إلى أخرى نظراً لتغير المجتمع.وبالتالي ما كان صالحاً في الماضي من معلومات وحقائق وأنشطة

(1)Brubacher "Modern Philosophies" P . 53

ومهارات قد لا يكون صالحا اليوم ،وما هو صالح في الوقت الحاضر قد لا يكون صالحاً في المستقبل ،وبالتالي أصبحت العملية التربوية متغيرة تبعاً لتغير المجتمع .

والفيلسوف الواقعي المعاصر يرى أن العلاقة بين الفرد والمجتمع لا تخرج عن أمرين:الأمر الأول أن يخضع الفرد للمجتمع.والثاني أن يتجاوز الفرد حدود الجماعة ،وفي الحالة الأولى المجتمع يرسم للفرد حياته ويخطط له ،والفرد يتشبع بعاداته وتقاليده وقيمه السائدة ،والتربية تعمل على غرس هذه العادات لدى الفرد من أجل المحافظة على المجتمع وتماسكه ،والاتجاه الثاني يرى أن التربية ينبغي أن تكون من أجل الفرد وحريته ،وهنا يتساءل"راسل"هل تكون التربية من أجل الفرد أم من أجل المجتمع "فهل من واجبها أن تدرب الأفراد ليكونوا أفراداً صالحين،أو تدربهم ليكونوا مواطنين صالحين[1]" ،وتظهر المشكلة الأساسية في التربية في العلاقة بين الفرد والجماعة المحيطة به.فالدولة تريد مواطنين صالحين من أجل تحقيق أهداف سياسية،فهي لا تضع مصالح الطفل فوق مصالحها،ولذلك يرى"راسل" أن النظام الإجتماعي كثيراً ما يكون في حقيقته مؤامرة كبرى على حرية الأفراد ، فلا يكاد يولد الطفل وينشأ حتى يغمسه ذووه ومواطنوه غمساً في ثقافة المجتمع الذي جاء عضواً فيه.فما ينفكون يلقنونه ويعلمونه ماذا يعتقد؟ وكيف يسلك؟ بغض النظر عن سلامة تلك العقائد أو صواب هذا السلوك.فليس المهم عندهم هو أن تكون العقيدة سليمة في ذاتها،أو أن يكون السلوك صواباً في ذاته بل المهم هو أن تكون هذه هي عقائد سائر أفراد المجتمع.وهكذا يسلكون وإذن فحتم محتوم على الناشئ الجديد أن ينصب مع غيره في قالب واحد،وإلا فهو الشاذ الذي يستحق أن يوضع موضع السخرية.ويكون الطفل في أعين الناس جديراً بالإعجاب والثناء حين يكون مطيعا يؤدي ما يؤمر بأدائه ،ولا يبيح

(1) Russell "Education and The Social Order" P 11 .

لنفسه أن يناقش الكبار ولا ذوي السلطان فيما يأمرونه بفعله [1]". ويؤكد "راسل" على أن هذه التربية غير صحيحة لأنها تنتج رجالاً متشابهين، وهي تقضي على الحرية الفردية للأفراد بالإضافة إلى ذلك فهي تفرض على الأطفال فرضاً ". بحيث تشكل عدداً كبيراً منهم بعقلية واحدة ومزاج واحد وأسلوب واحد[2]". وهذه التربية تحول الأفراد إلى آلات بشرية والنتيجة أنهم يقتلون[3] روح الفردية والشخصية إذا أمكنهم ،فإن لم يمكنهم فإنهم يضطهدونهم بكل وسيلة وسلاح .

ويرى الفيلسوف الواقعي أن التربية التي تقدس الوضع القائم والتي تهدف إلى إيجاد المواطن الصالح الذي يضحي بنفسه من أجل مجتمعه بالرغم من أنها على جانب كبير من الأهمية إلا أنها في رأي "راسل" تهمل الطفل كفرد له حريته في التعبير عن رأيه، كما أنها تؤدي إلى توتر عالمي بالإضافة إلى ذلك تتحيز وتتعصب إلى ما في الوضع القائم بل إنها " تؤدي إلى موقف عالمي يتسم بالكراهية والتوتر[4] ".ولما كانت هذه التربية تحافظ على الوضع القائم وتتعصب له، فإن الفيلسوف الواقعي المعاصر ينادي بتغير هذا الوضع القائم إلى ما هو أفضل ولذلك "راسل" "وبيري" "وايتهيد" يفضلون هذه التربية مدافعين عن التربية من أجل الفرد بل يشجعوا التربية المناهضة للوضع القائم ،والتربية من أجل المواطنة إذا كانت تربية سليمة فإنها يمكن أن تحافظ على ما هو أفضل في تربية الفرد.ولا تجعل الفرد أداة لينة للحكومة وخاصة إذا كانت حكومة عسكرية فلذلك يرى "راسل" أن هذه التربية تعوق إنشاء دولة عالمية تجعل " العنصر البشري كوحدة تعاونية واحدة ،وحينما يصبح العلم وحدة واحدة اقتصادية وسياسية تصبح التربية من أجل الفرد ممكنة " وإلا أصبحت حضارتنا في خطر.

---

(١) ذكي نجيب محمود " نافذة على فلسفة العصر " ص٢٤

(2) Russell " Political Ideals " P . 10 .

(3) I Bid . P . 10 .

(4) Russell " Education And The Social Order " P . 16 .

ثامناً : التربية المستمرة.

التربية في الفلسفة الواقعية المعاصرة لا تتوقف عند مرحلة معينة أو عند سن محدد. بل إن الإنسان يستمر في اكتساب الخبرات ما دام مستمراً في تفاعله مع بيئته ،وما دامت بيئته متغيرة فإن على الفرد أن يتكيف مع بيئته ،ولذلك لا يخطئ " وايتهيد" عندما ذهب إلى أن الإنسان في تغير دائم وصيرورة مستمرة لا تتوقف عند حد معين.فهو ليس ثابتاً على صورة واحدة منذ ولد إلى أن يموت بل هو تطور دائم،أو كما يرى"راسل"هو "حادثات متعاقبة في خيط طويل ولو أردت أن تصف حقيقته ،كما هي في الواقع،فلا مناص لك من ذكر تاريخه بكل ما قد حدث فيه من حادثات ذرية صغيرة . وكذلك الفرد من الناس له أول وله امتداد زمني معين ،وليس هو بالحقيقة الواحدة الساكنة[1]".ويرفض"بيري"القول بأن التربية تقف عند حد معين من العمر ،وفي ذلك يقول " أكثر الأشياء تضليلاً الفكرة التي تقول أن التعليم يبدأ من سن مبكر ويقف عند نقطة غير محددة ، فيما بين الثامنة عشر والثلاثين[2]" ، ولكن بيري يرى أن التربية عملية مستمرة تبدأ من السنين المبكرة باعتبار العقل أكثر استعداداً لقبول انطباعات جديدة كما أن ما يطبع عند ذلك يكون أكثر بقاءً،ولكن لا يعني ذلك أنه غير مستعد لتلق معارف في الكبر بل إن "العقل مستعد لتلقي الانطباعات في كل الأعمار.ومن وظيفة التعليم أن يبقيه دائماً مستعداً لتلقي الانطباعات ،وأن العقل ليس مكاناً مجرداً وكأنه إذا ملئ في السنين المبكرة لا يوجد فيه مكاناً لأكثر . إن الأمر على العكس من ذلك فكلما زادت معرفة الإنسان زادت قدرته على التعلم[3]" . والإنسان في حياته يكتسب خبراته في المدرسة أو الجامعة ولكنه "حينما يغادر

---

(1)Russell " An Outline Of Philosophy " P . 22 .

(٢) بيري " آفاق القيمة" ص٥٥٧

(٣) المرجع السابق ص٥٥٨

المدرسة أو الكلية يستمر في تعلمه من أفعال حرفته وعلاقاته مع أصدقائه وجيرانه ومن أطفاله وأحفاده ومغامراته ،وكل ما يتشربه بعينيه وأذنيه ويستمر في تعلمه حتى موته وهو آخر درس له.وربما أشد درس يتلقاه.ولا يعطى له فرصة الاستفادة منه في هذه الدنيا علي الأقل[1]". وترتبط التربية المستمرة عند وايتهيد بالتغير الذي يتصف به عصرنا حيث أن عصرنا عصر فريد من حيث أن التغيرات فيه سريعة إلى حد لانستطيع معها أن نضمن وجود مجموعة من الأفكار والمهارات تعين الطالب طوال حياته.وبدون معرفة ذلك فإن الأفكار وأساليب التفكير وأنماط العمل ستكون قيوداً تكبل الفرد،وسيشارك الحيوان الزاحف المنقرض مصيره حيث فاجأته البيئة بتغيرها السريع قبل أن يتهيأ لذلك.وعلى هذا فمضمون الحقائق والمهارات ينبغي أن يعلم ،ولكن الطالب في الوقت ذاته ينبغي له أن يتبين الدور الانتقالي في خطة ومجريات الأمور ،كما ينبغي أن يلقي تشجيعاً في اهتمامه بالمرونة والتكيف .

لا يخطئ"وايتهيد" ذلك الخطأ الجسيم فيزعم أن التربية تتوقف حين ينتهي الفرد من الجامعة أوحين ينتهي تعليمه الرسمي في مرحلة أسبق.وفي ضوء هذه الحقيقة القائلة بأنه لا يتعلم أحد كل شئ في المدرسة نجده يعتقد بأن الإنسان العاقل سيمضي في تحصيله حتى لو لم يكن لديه أي معلم أو أستاذ يتعهده ،ويمضي بعيداً فيقرر قائلاً "إن ثقافتك الحقيقية تجئ بعد التخرج .. إن رواية جيدة أو كتاباً جيداً في الرحلات سيهيئ لك معرفة بعالمك أوسع مما تهيئه كثير من الرسائل وكل ما في الأمر أن تفكر حين تقرأ .. ولا تحاول مجرد التعلق بالمطبوع دون تفكير.إن ذلك في سوئه كالإدمان على الخمر[2]". ينبغي أن يستمر الإنسان في تحصيل المعرفة العلمية والفنية في حدود طاقته.والإمكانات المتيسرة له في بيئته

(١) المرجع السابق ص

(٢) أهداف التربية ، صـ ٦٥ .

إننا لنمضي في النمو ما دمنا أحياء ولما كان هدف الثقافة أن توجه هذا النمـــو توجيهاً صحيحاً بقدر ما تستطيع فإن سير الثقافة ينبغي ألا يتوقف[1]"

تاسعاً: التربية الجنسية

تعطي الفلسفة الواقعية المعاصرة أولوية للتربية الجسمية بصفـــة عامـــة والتربيـــة الجنسية بصفة خاصة ،فإذاكانت الأسرة مؤلفة من بنين وبنات لابد للمدرسة أن تضم تحت جدرانها أطفالاً من الجنسين .

إن المجتمع الذي نعيش فيه يتألف من أشخاص من الجنسين ،ولذلـــك التربيـــة الشاملة التي تنادي بها الواقعية الفلسفية هي تربية تعد لهذا المجتمع الذي يعيش فيه الجنسين معاً ، والمجتمع الذي يعيش فيه رجالاً ونساءً فكيف تنجـــح التربيـــة في عملها وهي تفصل بين الجنسين؟ وكيف للتربية الحديثـــة أن تتجـــاهل التربيـــة الجنسية لدى الأطفال والمراهقين؟ ومن هنا يأتي أهمية التربية الجنسية سواء كانت داخل المدرسة أو الأسرة.فيجب على الوالدين والمعلمين أن يعطـــوا المعلومـــات الجنسية الصحيحة للتلاميذ ،فهذا أفضل للمتعلمين من المراهقين أن يأخذوا هـــذه المعلومات من مواضعها الصحيحة بدلاً من أن يأخذوها مشوهة مـــن بعضـــهم البعض.وفي ذلك يقول"راسل" فعلى الأبوين أن يصارحا الأبناء بتلك الحقـــائق الجنسية[2]".وذلك حتى تستقيم حياتهم النفسية والجسمية.فيجب أن يستقي الأبناء والبنات هذه المعلومات الجنسيةمن الأبوين والمربين والمعلمين لأنه مـــن الخـــير " للأبناء أن يسمعوا الحقائق الجنسية من أبويهما من أن يختلسوا المعرفة اختلاساً من رفاقهم فتأتي مشوهة.ويرسب في قرارة نفوسهم أن كل معرفة لها صلة بـــالجنس معرفة محرمة.وفي هذا الخطر كل الخطر على نفوسهم وعلى حياتهم المستقبلة[3]

---

(١) جونسون "فلسفة وايتهيد في الحضارة"،ص ١٤٣ .

(٢) راسل "الزواج والأخلاق"،مرجع سابق،ص ٢٩ .

(٣) المرجع السابق،ص ٢٩ .

ولذلك المدرسة الصالحة هي التي تراعي بث الحقائق الجنسية الصحيحة للبنين والبنات كما أنها يجب أن تضم الجنسين البنين والبنات " فالمدرسة التي تتألف من أولاد وبنات نشأوا كما ينبغي في سنواتهم الست الأولى تعتبر بيئة صالحة.إذا توافر عند القائمين عليها قدر مناسب من حسن التصرف[1]" .

وإذا كانت التربية التقلدية تأخذ بمبدأ الفصل بين الجنسين وخاصةفي مرحلة المراهقة ، فإن الواقعيين المعاصرين يروا ضرورة الإختلاط بين الجنسين حيث يجب الجمع بينهما في مدرسة واحدة ، كما يجمع بينهما تحت سماء واحدة ،وعلى العكس هناك من يرفض التربية المختلطة ،ويطالبون بانفصال الجنسين نظراً لوجود فوارق طبيعية بين الجنسين ،ولكن الواقعيون يروا أنه يجب أن يتلقوا الأولاد والبنات جميعاً تكويناً فكرياً واحداً ،وفي ذلك يقول"راسل" وأن الفتيات لهن نفس الحق في المعرفة كالفتيان" ،فالمدرسة المختلطة التي يتعلم فيها البنين والبنات جنباً إلى جنب لا تثير العملية الجنسية ،وإنما الذي يثيرها ويحركها هي الحياة الداخلية التي يحياها الأولاد معاً فتهيج أخيلتهم ،ويجرون إلى ضروب من الشذوذ الجنسي التي لا توجد في المدرسة المختلطة ،ولذلك "ينبغي على الشباب أن يعرفوا الأمراض الجنسية قبل أن يصابوا بها[2]".كما يجب أن يعرفوا كيفية الشفاء من هذه الأمراض بالإضافة إلى أهمية تجنبها ،ولذلك التربية الجنسية لاتدور حول العلاقة الجنسية فقط ،وإنما هي تشير إلى العديد من النقاط التي تتعلق بالجنس مثل الأمراض الجنسية والصحة النفسية ،وإنجاب الأطفال ،وتنظيم الأسرة ،والتكوين الجسمي والإختلاط بين الجنسين ،وغير ذلك .

ويرى الواقعيون المعاصرون إذا أردنا صحة جنسية جيدة صحيحة لابد أن يتم الاختلاط بين الجنسين ،ومن الوقائع التي يذكرها أصحاب التربية المختلطة وعلى

---

(١) راسل "في التربية"، مرجع سابق ،ص١٦٧ .

(٢) المرجع السابق،ص١٥٢ .

رأسهم بادلي Badley إن نمو الأطفال الجنسي يتم ببطء أكبر وانتظام أكثر في المدارس المختلطة مما نجده في المدارس التي تطبق انفصال الجنسين ،وهذا دليل على أن التوتر الجنسي في هذه المدارس المختلطة أقل وأضعف ، الأمر الذي يبين أهمية الإختلاط بين الجنسين داخل المدرسة وخارجها .

ويرى«راسل»أن موضوع الجنس محاط بالخرافات والتحريم لدرجة أنه يقول "إنني أقتحمه بارتعاش[1]". ومع هذه الرهبة وهذا الخوف الشديد الذي عبر عنه«راسل» فقد تناول الواقعيون المعاصرون التربية الجنسية لأن الجنس من الدوافع التي تشكل الشخصية الإنسانية ،وأن هذه الغريزة تلعب دوراً كبيراً منذ الطفولة ،وإن كان مظهرها يختلف في الطفولة عنها في الكبار ،ولكن يجب أن تبدأ التربية الجنسية منذ السنوات الأولى للأطفال فلا تترك الأطفال للنساء الغير متعلمات،لأنهن يؤمن بالخرافات ،ولا يعتقدون بما يقوله العلماء.وذلك لأن كثير من الأمراض والإضطرابات العصبية التي تصيب الإنسان في حياة الشيخوخة سببها الأخطاء التي ترتكب في الحياة المبكرة.وخاصة في الأمور المتصلة بالجنس[2]".ولذلك نحن في حاجة ماسة إلى الإصلاح التربوي في هذا المجال ،وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة والمراهقة ،ولعل الواقعيين الفلاسفة المعاصرين قد تأثروا بنظرية فرويد في التحليل حيث يرى"راسل""أن حب الاستطلاع الجنسي يبدأ بصورة طبيعية خلال السنة الثالثة بشكل اهتمام الطفل في الفروق الجسدية فيما بين الرجال والنساء[3]. ولإشباع حب الاستطلاع الخاص بالأمور الغامضة ،وحتى يزول هذا الغموض ، وينتهي حب الاستطلاع فيجب فيما يرى«راسل»أن يسمح للولد من البداية أن يرى والديه وإخوانه وأخواته بدون ملابس في الحالات التي يصادف

---

(١) المرجع السابق ص١٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص١٤٧ .

(٣) المرجع السابق ص١٤٨ .

فيها ذلك بشكل طبيعي ،ويجب ألا يحدث ذلك ضوضاء منهم ،وسنجد بأن الولد يلاحظ فوراً الفروق بين أبيه وأمه،ويربط ذلك فيما بعد بالفروق فيما بين إخوانه وأخواته". ثم يصبح الموضوع بعد ذلك شيئاً عادياً لا يدعوا للإهتمام مثل الخزانة التي غالباً ما تكون مفتوحة ،ولما كان الطفل في المرحلة الأولى كثير الأسئلة ،فإن التربية الجنسية تعتمد على الإجابة الصريحة على هذه الأسئلة المتعلقة بالجنس ،فإنها تشكل الجزء الأكبر من التربية الجنسية ،ولذلك يجب أن تكون الإجابة قائمة على الصدق ،ثم ثانياً تعتبر هذه المعلومات الجنسية معرفة مثل أية معرفة أخرى . فإذا سألك الطفل سؤالاً عن الشمس أو القمر أو السيارة .. فإنك تكون سعيداً.وأنت تحكي له عن سؤاله قدر علمك ،ولكنه إذا سألك عن الجنس فإنك تقول له "صه" اسكت أو تجيبه باختصار شديد ،وبشيء من الإحراج والقلق ،وبذلك تكون قد وضعت الحجر الأساسي للشوق لهذه المعلومات ،ولكن عليك أن تجيب بنفس السعادة والسرور والابتهاج كأن السؤال حول الجنس مثل أي سؤال آخر ،كما يجب أن لا تشعر الطفل أن الحديث عن الجنس شيئاً مخيفاً ولا قذراً حيث ينبغي أن تحدثه عن الجنس بروح علمية ،ويقال له بدون خطورة ،وفي ذلك يكون رد الأب على أسئلة طفله بصورة طبيعية جداً."ومن المهم جداً أن يعلم الولد عن هذا أولاً من والديه.أومن معلمه وليس من الأولاد الذين تلقوا تعليماً سيئاً[1]". إذ يجب أن يعالج الجنس من البداية كشيء طبيعي ومبهج ومحتشم ،ويقول"راسل" "وإذا أردنا أن نفعل خلاف ذلك فإننا نكون سممنا العلاقات بين الرجل والمرأة وبين الآباء والأولاد[2]". ويجب أن يعرف الأولاد المعلومات الجنسية من الوالدين ،فليس الجنس من الأشياء القبيحة أو المخيفة أو الآثمة "فمن الخطأ بصورة خاصة أن يكتشفوا الجنس فيما

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥١

بين والديهم كشر أثيم ،ويبقى مخفياً عنهم في سر الكتمان" كل ذلك قبل سن الإدراك حيث يمكن للوالدين أن يجيبوا على أسئلة أبنائهم حتى يصبح كل شيء معروفاً في المرحلة الأولى من حياة الأطفال ،وخاصة قبل سن البلوغ ففي المرحلة الأولى يمكن تحضير الأطفال لاستقبال هذه المعلومات الجنسية قبل سن البلوغ ،لأن الفتاة والفتى في سن البلوغ لا يمكنهم الإصغاء بروح علمية عن موضوع الجنس مما يكون ممكناً تماماً في سن البكور .

ويتوقف إعطاء هذه المعلومات الجنسية على ظروف كل طفل ،فالولد النشيط ذهناً يجب أن يحك له بوقت أبكر مما لو كان بليداً ،وإذا الطفل لم يسأل من تلقاء نفسه ،فإنه يتحتم أن يحكي له قبل أن يبلغ العشرة خشية أن يحكي له عن هذه الأشياء من قبل أشخاص آخرين بطريقة سيئة.ومن الأفضل أن نثير لدى الأطفال حب الاستطلاع ،وذلك من خلال إعطاء المعلومات حول التناسل في النبات والحيوان ،ثم يقول الأب للإبن "الآن يا ولدي أحب أن أحكي لك عن شيء أصبح الوقت مناسباً أن تعرفه" وذلك بشيء عادي.ومن الأفضل أن تكون جواباً على الأسئلة ،وفي هذه المرحلة – أي قبل العاشرة – من الضروري أن تعامل الأولاد والبنات بشكل متماثل حيث يجب أن تعرف الفتيات والأولاد معلومات عن الجنس قبل أن ينتقلوا إلى مرحلة المراهقة .

فمن الأخطاء الشائعة التي تشير إليها التربية الجنسية أن يقبل الأولاد والبنات على الزواج قبل أن يعرفوا أي شيء عن طبيعة الزواج ،وخاصة الفتيات لأن الفتيات لهن نفس الحق في المعرفة مثل الأولاد ،فالأخلاق الجنسية يجب أن يلم بها كل من الأولاد والبنات خشية أن يقعوا في الأمراض الجنسية ،وكذلك يجب أن يعرف الأولاد والبنات قبل الزواج أن إنجاب الأطفال له أهمية خاصة ،فلا ينبغي القيام به إذا لم نكفل للطفل مقدماً الصحة الجيدة والسعادة التامة كما أنه يجب أن يكون الفاصل الزمني بين طفل وآخر كبير إلى حد ما حتى لاتنهك صحة الأم ، فالعناية

بالأطفال وحقوقهم جزءاً أساسياً من الثقافة الخلقية والجنسية ،ولذلك يؤكد الواقعيون المعاصرون على أهمية موضوع الجنس والتربية الجنسية.فالجنس موضوع هام ،ومن الطبيعي أن يتناوله الفلاسفة الواقعيون في مؤلفاتهم حتى أن بعضهم يرى أن عالمنا يحتوي على شرور محزنة ،ولكن يمكن معالجتها بالتربية السليمة وخاصة التربية الجنسية.ومن هنا يعترض الفلاسفة الواقعيون على التربية التقليدية التي تمنع الحديث عن الجنس بالنسبة للأطفال.وأكثر ما يمكن أن تفعله أن تقدم لهم المواعظ الخاصة بذلك الموضوع ،وعلى العكس من التقليديين يوجد الإباحيين الذين يعلنوا عن عدم الموافقة بالنسبة للنظام السائد.وهم يعتقدون أن العواطف الجنسية تقود الرجال والنساء إلى أفعال منافية لأي نظام يمكن أن يتمسكوا به. وهناك عدد من المسائل تتعلق بالتربية الجنسية ،يذكر منها«راسل»"ترك تربية الأطفال في أيدي أشخاص جهلاء ومحدودي التفكير[1]" مثل المربيات التي بدون معرفة عن الجنس بشكل سليم ،كما أن بعض المدرسين يعتقدون في أن الجنس موضوع سيئ وقذر ،ولذلك يوبخون التلاميذ بعنف ،"والاضطراب العصبي في نهاية العمر يرجع للمعرفة السيئة عن الجنس في حياة الأطفال،وخاصة حينما تفرض السرية عن المعرفة الجنسية ،فإن الطفل يعتقد أنها معرفة جيدة ،ولذلك يجب أن يعرف الأطفال الحقائق والمعارف عن الحياة الجنسية بشكل علمي "إن تربية الصمت والسكوت عن حقائق الجنس تسبب للأطفال معرفة أن والديهم يكذبون عليهم[2]"، والكذب هو رذيلة غير مرغوب فيها "إن المعلومات عن المواضع الجنسية يجب أن تعطى تماماً بنفس اللهجة التي تعطى بها المعلومات

(1) Russell "Education And The Social Order" P . 112 .

(2) I bid . P . 115 .

الأخرى عن أعضاء أخرى في جسم الإنسان[1]".ويكون الجنس بالنسبة للطفل العادي موضوع طبيعي مثل أي موضوع آخر.

و"راسل"يرفض الاتصال الجنسي الشاذ،وكذلك العادة السرية.ويرى أن الآباء والمربيين هم المسئولين عن إنحراف الشبان جنسياً طالما هم يفرضون سياجاً وسرية تامة على المعلومات الجنسية.فمن الشبان من يلجأ إلى الممارسة الجنسية الشاذة.ومنهم من يمارس العادة السرية.ذلك بسبب تربية الصمت والسلوك المفروض على الشباب مع أن "الجنس موضوع طبيعي مثل أي موضوع آخر[2]".

وإذا كان الوالدان غير قادرين عن الحديث مع أطفالهم عن هذا الموضوع ينبغي أن يتركا ذلك لشخص آخر يمكن مناقشة الأطفال والشباب في ذلك الموضوع الجنسي حتى لا يصبحوا شواذاً جنسياً،أو منحرفون جنسياً ،والأطفال يلجأون إلى العادة السرية بسبب جهل الأطفال بالمعلومات الجنسية السليمة ،وطالما أن هناك سرية من الآباء والمربين حول هذا الموضوع،فإن الأطفال يلجأون إلى الشذوذ الجنسي ،وفي المدارس العامة يميلون إلى التضحية بالتربية العقلية من أجل الفضيلة بواسطة جعل الأولاد دائماً مشغولين ومتعبين جسدياً ،وذلك لكي لا يكون عندهم فرصة أو ميل للجنس مع أن هذا النظام له أضراراً عديدة منها: أولاً يغرس رعبا في عقول الأولاد،وثانياً يسبب نسبة كبيرة من الخداع والكذب ،وثالثاً يجعل التفكر في المواضع الجنسية أمراً مشيناً ،ورابعاً يسبب تشوقاً فكرياً يظهر بشكل خاطئ ومدمر ويصبح مؤذياً .يؤدي إلى الانحراف عن النمو الإدراكي السليم ،وفي نفس الوقت يرفض"بيري"و"راسل"و"وايتهيد" الإباحية "لأن قضاء وقت مع النساء العاهرات شيء سيئ لأنه يسبب الأمراض كما أن الدعارة

(1) I bid . P . 115 .

(2) I bid . P. 116 .

شيء غير مرغوب فيه وحينما يتزوج الشاب بعد ذلك ينظر إلى زوجته نظرة ربما لا تحقق السعادة الزوجية .

التربية الجنسية عند"بيري"و"راسل"و"وايتهيد"تركز على إعطاء الشباب معلومات سليمة عن الأعضاء الجنسية ،والممارسة الشاذة للجنس مثل العادة السرية "التي تسبب ضرراً بالغاً ،فهي تجعل الطفل منطوياً على نفسه ،وغير مغامر وتجعله غير قادر على الجماع العادي ، كما أن الإباحية بين الأولاد والبنات تسبب أشياء غير مرغوب فها مثل الحمل المبكر مثلاً .

ويقترح"راسل"للشباب في مرحلة الجامعة أن يتزوجوا ولكن دون إنجاب في هذه المرحلة ،وذلك سيكون حلاً للدافع الجنس "إنني متأكد أن حياة الجامعة ستكون أحسن علمياً وخلقياً إذا كان أغلب طلاب الجامعة متزوجون زواجاً مؤقتاً بدون إنجاب ،وهذا سوف يقدم حلاً للدافع الجنسي هذا الحل ليس سرياً ولا مزعجاً وبدون أجر أو مرض ويوفر الوقت الذي يمكن أن يخصص للعمل".

ويستشهد راسل بالشعب الياباني فيقول :"إن اليابانيين متحررون من جميع الحرمان الجنسي ،والنساء يخضعن للرجال بحزم،والأسرة تقوم على رضوخ الزوجات للرجال ،وهي أسرة قائمة على الثبات والانتظام ،والأولاد الصغار مسموح لهم بالمعرفة الجنسية ،والحديث الجنسي والعملية الجنسية لدرجة تكون مذهلة للأوربي[1]"

إن القاعدة الأساسية للتربية الجنسية عند "راسل"و"بيري"و"وايتهيد" تقوم على أنه في كل موضوع يجب أن يكون مفتوحاً للنقاش بشكل مقبول وبأسلوب علمي ،ومن المهم في جميع التصرفات أن يمنع الأطفال من الحصول على فكرة أن الجنس شيء قذر وسري بل أن الجنس موضوع هام لكل البشر وموضوع طبيعي ،ويتحدث الشباب عنه باستمرار ،فإذا تركنا الشباب يتحدثون عن الجنس بهذا

(1) I Bid . P . 119

الأسلوب السري ،فإن معرفتهم تكون خاطئة ،فالجنس ليس إثماً ولكنه موضوع هام يجب أن يدرس ويعلم في المدارس للشباب شأن أي موضوع آخر ،ولا تفرض عليه السرية التامة أو تربية السكوت كما يسميها«راسل»،لأن ذلك يؤدي إلى أضرار جسمية ونفسية للشباب.

عاشراً: التربية العقلية [الفكرية]

إذا كانت التربية الخلقية تهدف إلى تكوين الإرادة والطبع والخلق والعادات الحسنة فإن التربية العقلية تهدف إلى تكوين الفكر والذكاء.

تعطي التربية الحديثة اهتماماً كبيراً لتربية العقل الإنساني فما من فلسفة من الفلسفات الحديثة إلا وجعلت التربية العقلية مركزاً أساسياً لها والفلسفة الواقعية تعطي اهتماماً كبيراً للتربية العقلية من حيث مناهجها وأهدافها وكيفيتها ، وحيث ترى الفلسفة الواقعية المعاصرة أن المعرفة تبدأ من الواقع الحسي ولذلك الملاحظة والتجربة والبحث والتفكير العلمي ،والمنهج العلمي من أهم أدوات المعرفة وبالتالي نجد التربية العقلية لاتؤكد على كم المعلومات الذي يحصل عليه الفرد المتعلم من المعرفة ،ولكن من المهم أن يتعلم كيف يفكر وكيف يبحث وكيف ينمي القدرة على الكشف ،فالشيء الجوهري هو أن لا نعلم الطفل كم هائل من المعلومات،وإنما نعلمه الملاحظة والبحث والتفكير ونعلمه كيف يتعلم .

وإذا كانت التربية القديمة تقوم على حفظ معلومات في فترة من فترات حياة المتعلم معظمها ما يلبس أن ينسى سريعاً،فإن التربية الواقعية المعاصرة ترى ضرورة أن نعلم الطفل كيف يتعلم وكيف يفكر بنفسه . فهي تهدف إلى تنمية القوى العقلية لدى الفرد مثل قوة الملاحظة والموضوعية والدقة .وسوف تشير الدراسة في الصفحات الآتية الى التربية العقلية واهميتها عند كل من " رسل" و " وبيري " و وايتهيد

تهدف التربية العقلية عند "وايتهيد" إلى إكساب التلميذ المهارات العقلية ، مثل تنمية القدرة على التفكير الحر،والتأمل،وحل المشكلات،والدقة،والموضوعية ،والحكم على الأشياء وقوة التخيل وحب الاستطلاع.ولذلك اهتم "وايتهيد" اهتماماً كبيراً بالتربية العقلية التي تهدف إلى تحقيق حياة مدنية علمية ،فهو من أصحاب الرأي القائل بأن "التربية ينبغي تعني بصفة خاصة بتنمية المهارات الذهنية المجردة والحصول على معرفة الحقائق(٤)". ولا يتوقف دور التربية العقلية على تقديم مجموعة من المعلومات والحقائق والمفاهيم التي تعمل المدرسة على اكسابها للتلاميذ بل إن التربية ينبغي أن تمكن الإنسان من "فن الانتفاع بالمعرفة" وتتيح له فرصة التفكير الحر والتأمل ،فإذا كانت المعارف والحقائق هدفاً رئيسياً فإن التربية العقلية عند "راسل" لها أهداف معينة مثل حب الاستطلاع وانفتاح العقل واعتقاد إمكان المعرفة وإن صعبت،والصبر والجد وحصر الذهن والدقة.

والتربية العقلة عند "راسل" أساسا تقوم على الإحساس بالمعارف [illegible] لها.وأن ترتبط المعرفة بالحياة الواقعية بل تعمل المعرفة على تغيير الواقع.وتكون هذه المعرفة ممتعة وغير مملة للتلاميذ لأن المعرفة الملة تكون قليلة الفائدة .

تقوم التربية العقلية عند "بيري" على رفض القول بوجود أفكار فطرية مزود بها العقل ،ولكن يذهب "بيري" إلى أن العقل لديه قدرات تمكنه من تعلم كيف يعيش وفي ذلك يقول "بيري" "فالإنسان فطرياً ليس مزوداً للحياة إلا بقدرات تمكنه من تعلم كيف يعيش" أي لا يوجد لدى الإنسان أفكاراً فطرية مزود بها بل لدى الإنسان استعدادات تعينه على التعلم في الحياة .

وإذا كان العقل غير مزود بأفكار فطرية فإن ذلك لا يعني أن "بيري" يؤيد جون لوك في أن العقل صفحة بيضاء ،فهو يرفض قول لوك أيضاً لكن العقل عند "بيري"

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٤ .

إيجابي وليس سلبي لا يتلقى من الخارج فقط دون فاعلية وإيجابية منه، إنما المعرفة تفاعل بين الداخل والخارج، بين المؤثرات الخارجية والمكونات الداخلية للعقل ،وبالتالي فالتربية كما يرى "بيري" "لا يمكن أن تفرض على عقول سلبية متلقية[1]" لأنها تعتمد على تصور للعقل على أنه "وعاء تصب فيه المعرفة، وهذا تزييف للطبيعة الحقيقية للعملية التعليمية". ولكن التأثيرات الخارجية لا تصل إلى العقل إلا عندما يفتح العقل أبوابه من الداخل .. وإذا كان على التربية أن تربي فينبغي أن تطلق منابع مثل هذه الطاقات، وفي نفس الوقت إذا أريد للعقل الإنساني أن يحقق أكبر إمكانات نموه، فينبغي أن يتغذى من الخارج ..وإذا أريد له أن يعرف، فينبغي أن يجبر على مواجهة الحقائق العنيدة للطبيعة ،وإذا كان ينبغي أن يعرف كيف يعيش فينبغي أن يلائم بين نفسه ،وبين بيئته الاجتماعية[2]" .

ويرفض "بيري" التعليم الذي يصب التلميذ في قالب معين ويستشهد في ذلك بالتعليم الإسبرطي العسكري الملتزم إلتزاماً صارماً، وكذلك التعليم في دول النازية والشيوعية. وهذا النوع من التعليم يعتمد على تشكيل عقول الشباب حسب نظام محدد من قبل. ولقد استخدمت النازية التعليم لغرس عقيدة السمو العنصري والنظام العسكري، والطاعة العمياء، والولاء للفوهرر لدى الشباب الألماني. وقد تحكمت لتحقيق هذا الغرض في كل القوى الثقافية والعلم والفلسفة والدين والصحافة والأدب والموسيقى والفن وهي التي تشكل عقول الشباب[3]". ويبدو نفس هذا الهدف المركز على نطاق أقل سوء - في الآباء المتحكمين الذين يكونون عقول أولادهم منذ الطفولة إما بالتخويف أو بالوسائل المجردة من السلاح بطريقة أفضل "وقد يبدو ذلك النظام في المدرسة حيث يصب التلاميذ في

---

(١) بيري "آفاق القيمة" ص٥٥٥ .

(٢) المرجع السابق، ص٥٥٦ .

(٣) المرجع السابق، ص٥٧٣ .

القالب الذي يحسب الكبار أنهم ينبغي أن يكونوا عليه،وذلك بالدراسات المفروضة.وهيبة المعلمين،ويكرر هذا الموضوع مراراً وتكراراً ويصطنع هدف تعليمي ثابت ويتبع منهجاً ليحقق النجاح[1]"

الحادي عشر التربية المهارية

يقصد بالتربية المهارية تعلم المهارات المختلفة وتنمية قدرة التلميذ على استخدام الأفراد لأداء مهارة معينة،وتهدف هذه التربية إلى تنمية قدرة الفرد على استخدام عضلات جسمه بما يؤدي إلى اكتساب مهارات جديدة مثل تعلم الكتابة على الحاسب الآلي أو ركوب السيارة أو الدراجة أو العزف على آلة موسيقية إلى غير ذلك من المهارات.ويهتم الواقعيون المعاصرون من الفلاسفة بالتربية المهارية بصفة خاصة ،ولذلك يضعونها في مكانة سامية على عكس التربية في العصر اليوناني وخاصة عند"أفلاطون"الذي لم يهتم بالتربية المهارية ،بل كان كل اهتمامه بالتربية العقلية ،ولكن الفيلسوف الواقعي المعاصر يركز على التربية المهارية .

ويسعى الإنسان للتكيف مع بيئته ولكي يحقق هذا التكيف لابد أن يكتسب مهارات جديدة وهذه المهارات لا يمكن تعلمها على المستوى النظري،لأنه لا يمكن تعلم مهارة ركوب الدراجة مثلاً إذا وصفنا طريقة قيادتها نظرياً ،ولكن يستطيع هذا الطفل أن يتعلم ركوب الدراجة بالتدريب العملي،وممارسة ركوب الدراجة عملياً لا نظرياً من خلال التدريب العملي .وتحتل الثقافة الفنية والمهنية أهمية خاصة في الفلسفة الواقعية المعاصرة عند كل من"راسل"و"بيري"و"وايتهيد" حيث "يحتاج إليها عدد كبير من الناس بل إن الأمة تحتاج إلى عدد كبير من العمال والفنيين .ولا يكتفي"وايتهيد"باعتبار الثقافة الفنية الصناعية مجرد تدريب للأيدي العاملة في المصانع ،بل يرى أنه ينبغي النظر إليها على أنها سبيل لإنجاب مواطنين صناعاً ماهرين قادرين علي بلوغ الارتياح الشخصي في أعمالهم التي

---

(١) لوسيان برايس "محاورات الفرد نورث هوايتهيد" ترجمة محمود محمد ، ٢٢٣ .

يجدون فيها طعماً ويشعرون بقيمتها[١]". وتوضح لنا الثقافة الفنية المبدأ التربوي الأساسي القائل بأن المعرفة ينبغي أن تمتد جذورها إلى الخبرة من مصدرها الأصلي وتنتهي إلى نتائج عملية[٢]". وينبغي أن نعرف أن التربية العملية المهارية لها عنصراً ذهنياً أساسياً."فالأفكار تتحول إلى مهارة يدوية والمهارة اليدوية كثيراً ما تستثير الأفكار ،بل إن التفكير في النشاط الفني الصناعي الناجح هو الأساس والسبيل إلى العمل العظيم ،فالشخص الماهر في استخدام الأجهزة الميكانيكية قد ينتج نتائج باهرة ومدهشة ،وقد تستثيره هذه التجربة فيحاول أن يفهم كيف جاءت هذه النتائج ،وبالتالي يمكن إحداث تطور صناعي فني بعيد المدى . أما الحصول على قدر ضئيل من المهارات في بعض المهن الخاصة فليس هدفاً للثقافة الفنية ،لأن الحاجات الشخصية والقومية تتطلب قدراً غالباً من المرونة في الخبرة ،وينبغي ألا يتقيد المرء بآلة واحدة ينتهي إليها في ثقافته الصناعية الفنية ،بل يجب عليه أن يتدرب ليكيف نفسه حسب أنماط متعددة من الأوضاع المتباينة[٣]".

ويرى«وايتهيد»أن هناك علاقة قوية بين الثقافة الفنية الصناعية ودراسة العلوم الطبيعية حيث أن الثقافة الفنية تحتوي على دراسة العلوم الطبيعية المتصلة بها اتصالاً وثيقاً بالجانب الفني الذي يتدرب فيه الطالب ،فالهندسة مثلاً ستكون ذات قيمة للنجارين وللعمال في فنون كثيرة ، كما أن علم الأحياء سيكون عوناً لأولئك المختصين في الزراعة[٤]" .

يؤكد«وايتهيد»على قيمة الأشغال اليدوية فالتفكير ينبغي أن يكون جنباً لجنب مع العمل "فنحن مثل شتى الحيوانات لها إجساد ولدينا ميل قوي للعمل[٥]" بل إن

---

(١) جونسون "فلسفة وايتهيد في الحضارة" ص١٢٩

(٢) المرجع السابق صـ ١٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، صـ ١٢٤ .

(٤) المرجع السابق ص١٠٦ .

(٥) المرجع السابق ص١٠٧ .

العلماء الذين يقضون كل وقتهم في القراءة ليسوا مفكرين عظماء، بل على العكس من ذلك نجد أن أولئك الذين يواجهون بضرورة التعبير عن أنفسهم قولاً أو كتابةً ومن هنا يؤكد"وايتهيد"على العمل اليدوي من حيث أنه عنصر جوهري هام في التربية "ولابد من توضيح أهمية المهارة اليدوية والبراعة في نقل الأفكار من مجال التفكير إلى تناول البيئة المادية تناولاً عملياً باليد ،وذلك في مجال الفن والعلم وفن الصنائع" ونوجز القول بأن لدينا أنواعاً كثيراً من الخبرات والميول ،فليس من الطبيعي "اهمال استخدام الأيدي والأقدام استخداماً ماهراً فهذه الأنشطة تكون جزء من تنمية الإنسان الكامل تنمية شاملة ،كما يجب التأكيد على جانب الأشغال اليدوية واتباعه بحكمة طوال المرحلة الابتدائية والثانوية ،واتخاذه عنصراً أساسياً في الجهاز التعليمي كله . المهم في رأي"وايتهيد""أن تحتل الأشغال اليدوية مكان الصدارة في المنهج[1]"

---

(١) المرجع السابق ص١٠٧ .

obeikandl.com